مركز القطاع الثالث للاستشارات
والدراسات الاجتماعية (قطاع)
(الكتاب الثالث «فكر»)

نسخة غير مكتملة ويمكن الحصول عليها
من خلال منصات البيع الإلكتروني

المفكر الألماني
مراد (ويلفرد) هوفمان

«رؤيته في احتضار الغرب! وصعود الإسلام!»

د. محمد بن عبدالله السلومي

1443هـ/2022م

مركز القطاع الثالث للاستشارات
والدراسات الاجتماعية (قطاع)
(الكتاب الثالث "فكر")

المفكر الألماني مراد (ويلفرد) هوفمان

"رؤيته في احتضار الغرب! وصعود الإسلام!"

د. محمد بن عبد الله السلومي

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

ح محمد عبد الله السلومي، ١٤٤٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلومي، محمد بن عبد الله بن سليمان

المفكر الألماني مراد (ويلفرد) هوفمان
"رؤيته في احتضار الغرب! وصعود الإسلام!"

محمد بن عبد الله بن سليمان السلومي - الطائف، ١٤٤٣ هـ
ص ٤٤٤؛ ١٤×٢١سم
ردمك: ٧-٨٩٩٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام والغرب ٢ - الحضارة الإسلامية
٣ - الحضارة الغربية أ. العنوان
ديوي ٢١٤,٩٤ ١٤٤٣/١٢٧٠

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١٢٧٠
ردمك: ٧-٨٩٩٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الإهداء

* إلى كل من ينشد الحقيقة عن الغرب وحضارته القراءة والتأمُّل في أقوال هوفمان الحرَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

* وإلى كل من يريد أن يفهم أكثر عن بعض قيم الغرب، كالإقصاء! والعدوانية! والتعصب! وإثارة الكراهية! وعدم التسامح!

* وإلى المهتمين بالمعرفة عن خلفيات واقع العالم العربي والإسلامي بصراعاته وحروبه!

* وإلى الشعوب المسلمة باستشرافها المستقبلي للإسلام لتتفاءل بدينها البديل الحضاري.

(لعل في هذه الاقتباسات بهذا الكتاب ما يُسهم في التشخيص ويساعد في العلاج).

محتويات الفهرس

- الإهداء ٣
- المقدمة ١١
- تمهيد وتعريف عن هوفمان ٣٩
- بطاقة المفكر هوفمان (العلمية والعملية) في سطور ٣٩
- عن اعتناقه الإسلام وبلائه وابتلائه ، وأهمية الحوار ٤٢
  - الفلسفة والإيمان عند هوفمان ٤٤
  - ابتلاؤه وبلاؤه ٤٦
- الفصل الأول : ٥١

هوفمان واستشراف احتضار الحضارة الغربية وأفولها «نصوص مقتبسة»

  - وجهان للحضارة الغربية ٥٣
  - المجموعة الأولى : أزمة استبدال الدين بـ"الحداثة"! ٥٧
  - المجموعة الثانية : أفول الغرب من الجانب الفكري العقدي ٦٩
  - المجموعة الثالثة : تأرجح "قيم" الغرب وتبدلُّها ؛ بسبب بعدها عن ثوابت الأديان الأخلاقية! ٨٢
  - المجموعة الرابعة : حقيقة "سقوط" الحياة الأخلاقية في الغرب! ٩٢

- **المجموعة الخامسة:** اضطراب الغرب بنتائج «العلوم» المادية بين أرباح العلم وخسائره ١٠٤

■ **الفصل الثاني:** ١١٣

هوفمان وعوامل أفول الحضارة الغربية «نصوص مقتبسة»

- **عوامل الأفول** ١١٥
- **المجموعة السادسة:** مغالطات الغرب حول حقوق الإنسان! ١١٦
- **المجموعة السابعة:** الواقع الغربي في حقوق المرأة والطفل والأسرة ١٢١
- **المجموعة الثامنة:** واقع العدوانية والعنصرية الغربية بالكراهية وعدم التسامح ١٢٧
- **المجموعة التاسعة:** حقيقة إنسانية دول الحضارة الغربية! ١٣٣
- **المجموعة العاشرة:** موقف الغرب من التعددية والإسلام ١٣٩
- **المجموعة الحادية عشر:** تجاهل الغرب لحضارية الإسلام ١٤٦
- **المجموعة الثانية عشر:** النفاق الغربي والمعايير المزدوجة حول الإرهاب ١٥٣

■ **الفصل الثالث:** ١٥٩

هوفمان واستشراف صعود الإسلام «نصوص مقتبسة»

- **صعود الإسلام وانتصاره** ١٦١
- **المجموعة الأولى:** انتصار الإسلام لحقوق الإنسان وكرامته ودوره في الصعود ١٦٤

- **المجموعة الثانية:** انتصار الإسلام لحقوق المرأة والأسرة في الإسلام من عوامل تعزيز الثقة والجاذبية ١٧١
- **المجموعة الثالثة:** الحل الإسلامي في تشريعاته الاقتصادية بديلاً عن رأسمالية الغرب ١٨٠
- **المجموعة الرابعة:** صعود الإسلام وانتشاره وانتصار أفكاره ١٨٨
- **المجموعة الخامسة:** الإسلام البديل الحضاري المستقبلي ١٩٧
- **المجموعة السادسة:** استشراف مستقبل الإسلام الصاعد «الواعد» ٢٠٦

■ **الفصل الرابع:** ٢١٥

حضارية الإسلام وعوامل الجاذبية فيه عند هوفمان «نصوص مقتبسة»

- **حضارية الإسلام وجاذبيته** ٢١٧
- **المجموعة السابعة:** حضارية الإسلام بجاذبية «عقيدته» ووضوحها وصفائها ٢١٨
- **المجموعة الثامنة:** حضارية الإسلام بكمال تشريعاته في أنظمة الحكم والدولة ٢٢٦
- **المجموعة التاسعة:** حضارية الإسلام المُنقذ بِقِيَمِه والجاذب بتشريعاته الأخلاقية ٢٣٣
- **المجموعة العاشرة:** حضارية الإسلام بعدالته ورحمته العالمية في الفتوحات والمعاهدات ٢٣٩

- **المجموعة الحادية عشر:** حضارية الإسلام بسماحة أنظمته والمساواة في تشريعاته ٢٤٥
- **المجموعة الثانية عشر:** حضارية الدين الإسلامي بتلازم الإسلام مع العلم ٢٥٤
- **المجموعة الثالثة عشرة:** حضارية المسلمين المادية و(الفن) المعماري ٢٦٣

■ **الفصل الخامس:** ٢٧٣
«مصادر الاقتباسات وقراءة فيها»

- **قراءة وتعريف بالكتب العشرة لهوفمان (مصادر اقتباسات الفصول الأربعة)** ٢٧٥
- أقوال واقتباسات مُعزِّزة عميدة الاستشراق الألمانية د/ آناماري شيمل ٣٠٢
- قراءات من آخرين عن هوفمان (نقولات ومقالات) ٣٠٩
- قراءات من آخرين عن بعض (كتب هوفمان) ٣٢٢

■ **الخاتمات** ٣٢٧

- ما قبل الخاتمة ٣٢٩
- **أولاً:** الحداثة وأثرها على أفول الغرب! ٣٣١
- **ثانياً:** مزايدات الغرب المتعصب حول حضارته وأبرز قِيَمه ٣٤٢

- **ثالثاً: من مخرجات الحضارة الغربية: الأدمغة المُستعمَرة وخواء الذات** ٣٦٠
- **الخاتمة: نتائج وتوصيات ومشروعات** ٣٦٧

■ **الملاحق** ٤٠٣

- **الملحق الأول: قائمة بمقالات وأبحاث وحوارات هوفمان** ٤٠٥
- **الملحق الثاني: بيان بأبرز المقالات المنشورة عن هوفمان** ٤٠٩
- **الملحق الثالث: معلومات عن الطبعات والترجمات لكتب هوفمان المعروفة** ٤١٤
- **الملحق الرابع: رثاء الدكتور مراد هوفمان - شعر صبري الصبري** ٤٢٨

■ **المصادر والمراجع** ٤٣٠

■ **كتب صدرت للمؤلف** ٤٤٠

■ **بطاقة المؤلف** ٤٤٣

المقدمة

تعـــود (قصة) تدويـــن هذا الكتـــاب عن مـــراد هوفمان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وجانـــب مُحدد من رؤيته الفكرية، وهي الرؤية المعنية «**بأفـول الحضـارة الغربيـة، وصعود الإسـلام**» -وهـــو موضوع هذا الكتاب- حينما كنت أبحث في السنوات السالفة في مادة كتابي العلمية (الإسلام والغرب بين المنافسة والصراع: رؤية مستقبلية للواقع العربي والإســـلامي وعلاقته بالآخر!) والمعني بالجانب التاريخي والمستقبلي عن علاقة الغرب بالإسلام، هل هي علاقة منافســـة؟ أم صراع؟ ولم يغب عن البال أن هذا الكتاب الجديد وربما نتائجه مما يُعد إضافةً وامتداداً لكتابي (الإسلام والغرب بين المنافســـة والصراع) لتشـــكل إضافات الكتاب الجديد رؤية أشمل عن الغرب وعلاقته بالإسلام، وعن إمكانية مدى التصالح الغربي مع الإســـلام، وعن أهمية حوار المسلمين مع متسامحي الغرب ومتعصبيه بمنظماته ومؤسساته ودوله برؤية معرفية.

وكان قد لفت انتباهي أثناء البحث العلمي في كتابي السابق وضوح رؤية هوفمان عن الحضارة الغربية وجرأته في تشخيصها، وشـــجاعته في نقد أصولها، مع إيمانه القوي بأن الإســـلام هو البديل الحضاري للعالم في حاضره ومستقبله! والموضوعان أو شِـــقَّا الموضوع هما أســـاس هذا الكتاب، حيث اختيار واقتباس معظـــم (النصوص) المتعلقة بالموضوعـــين، وذلك من أبرز كتب

هوفمان عن الأفول والصعود فقط. وهما موضوعان مترابطان عند هوفمان كذلك. ومما قال عن هذا: «يبدو للوهلة الأولى أن هناك درجة كبيرة من اللاتماثل في العبارة (الغرب والإسلام)، فالغرب -وهو مفهوم جغرافي أساساً- يُوضَعُ غالباً في مواجهة الإسلام - الديانة. ولكن هذا اللاتماثل منطقي؛ لأنه لم يعد بالإمكان مساواة الغرب بالدين».(١)

وهذا الارتباط استوجب مني ودعاني لقراءةٍ أوسع واطلاعٍ أكثر في معظم كتبه وأبحاثه ودراساته المتاحة والمعنية أكثر بالموضوعين ليتأكد لي بصورة جلية بأن نقده وتفاؤله كذلك ليس أمراً عارضاً أو طارئاً، أو أنه كان استجابة عاطفية أو رد فعل، بل إن هذا كان مبنياً على قناعات فكرية بمعطيات علمية أوردها في كثير من كتبه. وتتأكد لدي أكثر هذه القناعات الفكرية عند هوفمان بما سمعته منه شخصياً حينما زُرتُه بمنزله في بون بألمانيا، فكان اللقاء معه والحوار، وذلك في عام ٢٠١٢م قبل وفاته بحوالي ثماني سنوات، حيث تحدث معي عن سجاد بيته التراثي وبعض لوحاته الفنية، ثم عن صديقه وأستاذه محمد أسد النمساوي الذي لديه نزعةٌ عقلانية في بعض كتاباته خلافاً لهوفمان في تعاطيه الصحيح مع الغيبيات من الكتاب والسنة بمرجعية أصولية دون التفات للفلسفة والعقل، وكان

(١) انظر: مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٤٩.

لهوفمـــان حديث كذلك عن كتابي (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهـــاب) الذي كان قد كَتَبَ تقديماً له باللغة الألمانية. ثم كان حديثه الأساســـي معي قليلاً عن أفـــول الغرب وحضارته، وبعد هذا أطال الحديث كثيراً عن مستقبل الإسلام وفوزه على الأفـــكار والأيديولوجيات الأخرى. وكان ممـــا قال لي عن فوز الإســـلام: «أصبح الإسلام له حضور قوي لافت لدى الألمان، بل في أوروبا والعالم أجمع».

ويُدلِّـــل على ذلك بأدلة كثيـــرة، كان منها قوله معي في هذا الحوار: «كُنَّا في ألمانيا قبل حوالي ٤٠ عاماً لا نعرف سوى مسجد آخـــن بألمانيا الوحيـــد تقريباً. أما اليوم ففـــي كل مدينة، بل في معظم أحياء المدن مســـجد أو مصلى أو مدرسة إسلامية أو مركز أو جمعية إســـلامية. وكنا كذلك لا نســـمع شيئاً عن الإسلام في وسائل الإعلام الألمانية إلا في الشهر مرة واحدة تقريباً! أمَّا اليوم فقضايا الإســـلام والمســـلمين حاضرة باليوم والساعة في جميع وسائل الإعلام، أخباراً وموضوعاتٍ ونقاشاً سلباً وإيجاباً! وهو ما يعكس المرحلة المستقبلية للإسلام الذي أصبح حديث الساعة».

وعلى مســـتوى أخباره الشخصية العلمية التي تُظهر تَمكُّنَه العلمي لأي قضية يكتب عنها أفادني -بعد سؤالي له- بأنه حينما يُؤلِّف كتاباً يُحضِّر له ولا يستغرق منه إعداده سوى ثلاثة أشهر! والمهم في هذا الموضوع أننا في هذا الكتاب أمام قضية واضحة وشـــخصية غربية مسلمة معتدلة وبارزة، وهو ما يجعل موضوع

هذا الكتاب أقرب إلى سرد الحقيقة والحقائق من أقواله، دون التحليل أو الشرح لها، وبعيداً كذلك عن الجدلية التي ربما تكون عقيمةً أحياناً حول أفول الغرب أو عن فوز الإسلام.

وتتأكد (أهمية) البحث والكتابة في هذا الموضوع بشقيه حصراً عند هوفمان؛ لأن الغرب بدوله وحضارته في السلم والحرب لاعب رئيس في الأحداث الدولية وقضايا العالم، بل ومُتحكِّم إلى حدٍّ كبير في حياة العالم السياسية والاقتصادية، ومؤثِّر فعَّال بأيديولوجياته ومنظماته ووسائله الإعلامية على الأديان والثقافات وقيم الحياة الاجتماعية الأخرى. وهو ما يؤكد أهمية تشخيص الصعود والهبوط للغرب وحضارته للتعاطي الصحيح مع حركة التاريخ، ولا سيما أن حضارة الغرب وَقِيَمَها تتعرضان لنقاشات حادة بين الأطياف الفكرية، حيث صراع البقاء لهذه الحضارة أو دولها محل نقاش كبير. وكذلك ما تتعرض له حضارة الغرب بِقيَمها من الامتحان الصعب في ميادين الحياة. فعلى سبيل المثال ما تعيشه العلاقات الأسرية والاجتماعية من تفكك يُنذر بالزوال للأسرة، وذلك في ظل حريات مطلقة أفقدت الغرب مستقبل عموده الفقري (الأسرة والعلاقات الأسرية).

كما أن منظومة الغرب الأممية المعنية بـ(العلاقات الدولية) تواجه مشـــكلات عميقـــة وخطيرة، كما هو الحـــال في تبادل الاتهامات بين بعض الدول، كما في الشـــأن الإنســـاني الإغاثي عالميـــاً، والتخلي عن بعـــض الاتفاقات الدوليـــة أو الالتزامات المالية من كثير من المانحين، كما هو انســـحاب الولايات المتحدة الأمريكية من مجلس حقوق الإنســـان فـــي الأمم المتحدة عام ٢٠١٨م، وكما حدث كذلك من تخلِّي الولايات المتحدة الأمريكية عن دعم منظمة الصحة العالمية بعد أزمة كورونا ٢٠٢٠م بالرغم من الوعد بالرجوع وغير هذا من التحولات والمشكلات.

ويضـــاف إلـــى هذا وذاك مـــا هو أهم، حيـــث الإخفاق المشـــهود لدول الغـــرب المتزعمة قيادة المنظمـــات الأممية في معالجة الانتهاكات بحق القانون الدولي، وإحلال السِّـــلم العالمي وتحقيق الحقوق الإنســـانية والعدالة في ظل ســـيطرة المصالح الذاتية الضيقة لبعض الحكومات والشركات العالمية دون مراعاة للمصالح العامة للدول والشـــعوب، حتى كان فَرْضُ تشـــريعات حق الرفض المســـمى (الفيتـــو) الخاص بالـــدول الكبرى على الدول الأخرى، وبالتالي فشـــل الأمم المتحدة ومجلس الأمن في تحقيق عدالة العلاقات الدولية وإخفاقهما في وقف الصراعات والانتهـــاكات والحروب المدمِّرة الكارثيـــة، والمتنامية التي تزداد وتيرتها بتقدم الســـنين والشـــهور، بل والأيام، والمهم أن تعاطي

الغـــرب مع الأحداث الدامية والحروب في العالم يُعدُّ أصلا في معظم الصراعات، فضلاً عن بيع السلاح إلى الأطراف المتنازعة، وإصدار بعض التنديدات الفارغة بلقاءات ومؤتمرات خاوية من المواقـــف العملية، بل مما أصبح معروفاً لدى شـــعوب العالم أن تكرار كثير من المواقف الغربية بالتصريحات والتنديدات هدفه في أحيان كثيرة منح المزيد من إضاعة الأوقات، أو كسبها لصالح استمرار العدوانية والدماء! وربما بقاء الصراع!

ويضاف إلى ما سبق من أهمية علمية ومعرفية عن موضوع هذا الكتاب أن فـــي هذا رصداً لحركة التاريخ وللعامل الرئيس المُؤثِّـــر فيه، وهو هنا الغرب بحضارتـــه، حيث التنامي الملحوظ لمؤشرات ضعف أو سقوط الرأســـمالية الغربية المسيطرة على العالم بنظامها الاقتصادي الربوي الذي شـــكا منه بعض عقلاء ومؤسســـات الغرب ذاته. ولهذا فالطرح المتكـــرر بعد كل أزمة اقتصادية عن إعادة هيكلة رأســـمالية السوق الاقتصادي يأتي غالباً بما لا يحقق المصالح العامة للشـــعوب ومعظم الدول؛ لأن هذه الهيكلة ليســـت لإصلاح الاقتصاد كواجب وضرورة لصالح البشرية بقدر ما هي لتحقيق مصالح شركات وحكومات!

وبالرغـــم من التحذيرات الجدِّيـــة والقوية من خبراء المال والاقتصاد المتخصصـــين عن الأزمات المتوقعـــة القادمة، التي ســـوف تفوق أزمة المال والاقتصاد في عام ٢٠٠٨م بمرات كبيرة

لم يكن الإصلاح الحقيقي. وكل هذا مما يُهدد مصير معظم دول العالم ومستقبلها لترابطه الرأسمالي وتشابك مصالح العالم. وهو ما كشفت كذلك عنه بصورة أكثر صدمة تداعيات أزمة (فيروس كورونا) عام ٢٠٢٠م. وهذا الواقع الخطير في معظم جوانبه مما يُسهم في كشف أنانية الغرب ووحشية اقتصاده المُعولَم. وهو بالتالي مما يُوضِّح معظم الحقيقة عن حضارة الغرب وهشاشتها، فكيف بجوانب الزيف فيه وهيمنتها الغالبة! وهو ما يؤكد أهمية المعرفة الواعية عن هذا وعن البدائل الممكنة.

❋❋❋❋

وتتضاعف أهمية الوعي والمعرفة عن هذا الموضوع لدى أي مسلم؛ لأن هذه الحضارة أو الثقافة الغالبة المعاصرة ببعض دولها أو بمعظمها لديها أزمة فكرية مع العالم الإسلامي، ولديها موقف عدائي من الإسلام ومحاولات حثيثة لتشويهه!

وتتأكد هذه العدائية المتنامية والمتجددة -على سبيل المثال- بما صدر من الرئيس الفرنسي ماكرون من تصريحات ومواقف وقرارات وإجراءات تُجذِّر الكراهية وعدم التسامح تجاه الإسلام، ومع مُسلمي فرنسا بقيمهم ومساجدهم وحرياتهم الدينية، وذلك مع نهاية عام ٢٠٢٠م. وتتأكد من رجال الدين النصارى كأنموذج آخر عن الكراهية والتعصب وعدم التسامح مع الإسلام في

موقف رئيس الأســـاقفة باليونان ايرونيموس الثاني حيث يقول عن الإسلام: «أنه ليس ديناً وإنما هو حزب سياسي وأتباعه أهل حرب وتوسُّع ونفوذ».(١)

ويؤكد ما ســـبق عن التعصب الغربي وعدم التسامح وإثارة الكراهية في المجتمع الواحد ما حدث في البوســـنة والهرسك فـــي عصر الحضارة الغربية وذلك في أواخر القرن العشـــرين حينما أغار الجار الصربي والكرواتي بعدوانية مكشـــوفة على جاره المسلم قتلاً وتشريداً وانتهاكاً لحرمة نفسه وعرضه وماله، وكان ذلك على مرأى ومســـمع من العالم كلـــه، بل إن الصرب والكروات حكومات وشـــعوباً قد ساندت هذه العدوانية، وكذلك ما حدث في كوسوفا بصورةً مشابهة من قبل النصارى الصرب والكروات على جيرانهم المسلمين بوحشية دموية.

كما أن لكثير من دول هذه الحضارة مواقف عملية سياسية وعســـكرية وتدخلات جيوسياسية اُعتبرت -لدى كثير من كُتَّاب السياسة والعلاقات الدولية والمفكرين- عائقاً عن تحقيق الأمن والسلام والاستقرار والعدالة داخل الأوطان الإسلامية، وهو ما جعل هذا الأمر موضع اهتمام لدى هوفمان. ومن سبقه كمحمد

(١) انظر: ســـي ان ان العربية، بعنوان: رئيس أســـاقفة أثينا باليونان ووصف الإسلام بأنه «ليس دينا»، بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٢١م، الرابط التالي:

https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2021/01/20/azhar-response-athens-islam

أسد وعلي عزت بيجو فيتش وغيرهم باختلاف يسير بين الثلاثة في بعض القناعات الفكرية ووسائل الإصلاح لحال المسلمين. وبالتالي تأتي أهمية النقاش حول الخروج من هذه الأزمة الخانقة التي فرضتها السياسات الغربية تجاه الإسلام وقضايا المسلمين، ليأتي بعد ذلك طرح البديل الحضاري المُخلِّص من خلال ما كتب هوفمان كذلك. ولعل التشخيص يكون نصف العلاج.

ومن التشخيص أن التاريخ المعاصر سجَّل -إلى حدٍّ كبير- صعود الإسلام الفكري والمعرفي بانتشاره وتفوقه الأخلاقي على أيديولوجيات العصر بغربه وشرقه. وهو ما يمكن أن يكون المرحلة الأولى في الفوز والانتصار -حسب السنن الإلهية الكونية والتاريخية-، حيث إن تفوُّق الأفكار ونجاحها يُعدُّ مقدمات مبكرة لانتصار الأتباع، لا سيما أن الأفكار والعقيدة الواحدة تُعدُّ العامل الموحِّد الأساسي للشعوب والأمم والدول في الوقت ذاته، خلافاً لأي وحدة سياسية، تقوم على المصالح الاقتصادية التي لا تدوم -كما هو معظم دول الغرب- مثلاً، وحيث استمرار تلك الوحدة في الغرب راجع إلى استخدام قوتها -في الغالب- من صناعة النزاعات والحروب ضد الآخرين، كعامل موحِّد للداخل مثل واقع أمريكا. وهذا يعني أن المسلمين بمفهوم «الأمة الواحدة» يمتلكون عامل وحدة أقوى حول مشروع نهضتم وسيادتهم وهي قضيتهم الرابحة، وإن كانوا لا يمتلكون -بحالتهم الراهنة- أهم الأدوات والوسائل القوية ذات الأثر والتأثير والتمكين!

والمهم في هذا الموضوع -مرةً أخرى- أن هذا التشخيص العام في هذا الكتاب عن شِقَّي الموضوع مما أعتبره شخصياً بالغ الأهمية؛ لأن التشخيص بداية العلاج لأوجاع المسلمين ونوازلهم خلال قرنين مضيا إضافةً إلى محنتهم القاسية المعاصرة، بل إن التشخيص مفيد في رفع سقف تفاؤلهم بعيداً عن ما يُسمى «جلد الذات»، حيث الفصل الثالث والرابع في معظمه إن لم يكن جُلَّه عن التفاؤل بصعود الإسلام ووجوب العمل.

❋❋❋❋

ومما هو جدير بالاعتبار تدوينه في هذه المقدمة التذكير بأن موضوع التفاؤل للإسلام والأفول للغرب يُعدُّ من أكثر الموضوعات جدلاً فكرياً في العصر الحاضر؛ لأهميته -كما سبق-. وتتضاعف الأهمية؛ لأن التوصيف والعلاج لهذه القضية الكبرى بين الغرب النصراني بمعظمه والشرق الإسلامي بمجمله صَدَرَ ممن لديه القدرة العلمية والمعرفية -إلى حدٍّ كبير- على تشخيص الحضارة الغربية ونقدها وسقوطها الأخلاقي أو أفولها، والتبشير بالبديل عنها، وهذا التشخيص مما يساعد القارئ كثيراً على الحسم العلمي في نتائج الاقتباسات النصية. ولم يكن هذا التشخيص من مفكر مسلم فحسب، أو ناقد عربي، أو مفكر يساري، أو عالم غير أوروبي ممن يمكن أن تُحسَب أفكاره على العرب والمسلمين بانحياز، بل إنها من مفكر

وفيلسوف غربي ودبلوماسي وسياسي عاش العلاقات الدولية بتفاصيلها العملية، بل ومارس أمن المعلومات في أكبر حلف عالمي غربي، وهو ما مكَّنه من الرؤية الواضحة للسياسات الغربية عن كَثَبٍ. ولهذا فقد أسهم بتشخيص الحالة المَرَضِيَّة لدى الغرب المتعصب تشخيصاً موضوعياً. فهو من رَحِم الغرب وعاش داخله خمسين عاماً قبل إسلامه، بل كان من داخل أهم المؤسسات الغربية ذات الشأن الكبير في العلاقات الدولية، حيث كان خبيراً في مجال الدفاع النووي في وزارة الخارجية، ثم مديراً لقسم المعلومات في حلف الناتو، ثم سفيراً لبلاده في الجزائر ثم المغرب، ومنذ إعلان إسلامه ١٩٨٠م وهو يكتب بفكر فلسفي عميق عن الإسلام، وربما أن أول مقال كدراسة علمية كتبها في هذا الجانب كان عام ١٩٨١م (طريق فلسفي للإسلام)، ثم كان أول كتاب له بعنوان (يوميات ألماني مسلم) في عام ١٩٨٥م.

إضافةً إلى أن معظم كُتبه بعناوينها وموضوعاتها تكشف لنا أننا أمام قامة فكرية، وشخصية استثنائية في رؤاه لتأتي تحليلاته ورؤاه عن الغرب وحضارته بعلمية وموضوعية، ثم عن الإسلام ومستقبله وعن واقع المسلمين كذلك، وتأتي هذه التحليلات والرؤى بصورة مبنية على معطيات علمية وسياسية عاشها بنفسه، بل ربما يعرفها هو أكثر من غيره، خاصة عن جذور وقشور الحضارة الغربية المادية، وعن العقلية السياسية الغربية

وطريقة تفكيرها كذلك، إضافةً إلى رصيده العلمي الأكاديمي القانوني من جامعة هارفارد، وهو ما يجعلني أكرر القول بأننا أمام شخصية علمية -استثنائية- غير عادية! لاسيما في مجال المعرفة عن علاقات الغرب مع الإسلام والمسلمين وطبيعتها، وهو موضوع هذا الكتاب.

ولقد عبَّرت عميدة الاستشراق الألمانية الدكتورة آناماري شيمل (Annemarie Schimmel) عن شخصية هوفمان وفكره وقناعاته العلمية وهي تُقدِّم لكتابه الذي أثار الضجة الكبرى في معظم دول الغرب، بأنه عاش عقيدة الإسلام بإيمان راسخ، وذلك بقولها: «أزعم أن القارئ سيُعجب أو يُدهش، بل قل سَيُصْدَمُ لموقف الدكتور مراد هوفمان الجلي الواضح كل الوضوح. فهو ثابت القدمين على أرض الإسلام الذي عَرَفَه السلفُ، كما بَلّغ الرسولُ وكما طبَّقه الصحابةُ والتابعون، وذلك دون تقديرٍ منه للتصوف الذي أراه أقرب إلى نفسية الغرب. إن الإسلام السلفي التقليدي الذي يرى فيه الغربُ بقايا باليةً موروثةً عن صيغ وأشكالٍ طاعنةٍ عتيقةٍ قروسطية (من القرون الوسطى)، إنما هو في نظر المؤلف [هوفمان] دينٌ قَيِّم حيٌّ سام جديرٌ بالبقاء».[1] بل إن الدكتورة شيمل تدعو إلى أن يُفلح

(١) انظر: تقديم أ. الدكتورة آناماري شيمل، كتاب (الإسلام كبديل لمراد هوفمان)، ص١٨

المؤلف هوفمان في تقريب رؤيته هذه عن الإسلام إلى البيئة الغربية، وهو ما حاول فعله بالكتابات والحوارات والمناظرات والمقابلات عبر أربعين عاماً من عمره في الإسلام.

ومما يضاف إلى الحديث عن شخصية هوفمان إخلاصه لدينه وعمله الدؤوب لنشر أفكاره ورؤاه مع مؤسسات وشخصيات كثيرة على مستوى العالم، بل نَشْرِ كتبه ورؤاه بلغات متعددة، ومما سمعته عن جهوده حول تفسير القرآن وطباعته ما ذكره لي صديقه التركي الأستاذ شعبان كورت Şaban Kurt وابنه محمد كرد -وهم أصحاب دار نشر نداء التركية (Çağrı Yayınları-)[1] من قصة مثيرة للانتباه، وهي تصحيح هوفمان ومراجعته لترجمة قديمة كانت غير جيدة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية صدرت عام ١٩٠١م لمترجم غير مسلم، وهو المستشرق المعروف ماكس هينينج (Max Henning)، وفي

(١) دار نشر نداء التركية (Çağrı Yayınları) قامت مشكورة بالعمل على طباعة وترجمة معظم كتب مراد هوفمان باللغة التركية وبعض اللغات الأخرى ثم العمل على نشرها، حيث أصدرت دار النشر (١٧) كتاباً عن هوفمان بلغات مختلفة، ومن ذلك: ثمانية كتب إلى اللغة التركية، وخمسة كتب باللغة الألمانية، وثلاثة كتب إلى اللغة الإنجليزية، وكتاب واحد باللغة الفرنسية، ولمعرفة المزيد زيارة موقع دار النشر، على الرابط التالي:
https://www.cagri.com.tr/product/search/yazar/murad-wilfried-hofmann.

الترجمة -حسب هوفمان- مناهضة أو معاداة للإسلام، بحيث يتوجب استبدال الترجمة بأكملها تقريباً. والقصة كاملة ذكرها هوفمان في كتابه "الرحلة إلى الإسلام" بعنوان: (القرآن الكريم: مرة بعد أخرى...).

ولأجل أن هذه الترجمة غير أمينة طلب شعبان من هوفمان أن يراجع هذه الترجمة القديمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، فوجد هوفمان عليها ملحوظات كثيرة. وقد بذل هوفمان جهداً غير عادي في المراجعة والتصحيح. وقد استغرق ذلك منه ثلاث سنوات من المراجعات والتصحيحات والإضافات، وقد رفض هوفمان أن يأخذ أي مقابل مالي من الناشر عن جهوده محتسباً (إنه القرآن)، لكن صاحب دار النشر شعبان قام مشكوراً بتخفيض أسعار كتاب التفسير، والإهداء بما يقابل جهد هوفمان العلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومع كل ما سبق عن شخصية هوفمان وفكره فإن له هنَّات علمية لا تُنقص قدر فكره وعطائه، بل مغمورة في بحر حسناته. وعليه ملحوظات فقهية -لكنها- غير معنية بهذا الكتاب المتخصص بموضوع محدد. وشأن هوفمان شأن كل مسلم يؤخذ من قوله ويرد، فكيف بمفكر غربي أسلم ولم يتبحر بالعلوم الإسلامية من كامل مصادرها وأصولها العربية! كمدارس الفقهاء

وأصول الفقه، أو مدارس المفسرين وأصول التفسير، فبضاعة معظم هؤلاء الذين يُسلمون -وإن كانوا مفكرين مخلصين- تكون في الغالب عن الإسلام من كتب مترجمة، بعيدة عن أسرار اللغة العربية أو بلاغتها وأدبياتها ومصادرها الأساسية. ولكن كفى لهوفمان إسهاماته الكبيرة المتميزة في تشخيص الحضارة الغربية، وجهوده في التعريف بالإسلام والدعوة إليه، وكفى له مرة أخرى أنه أسلم بإرادته وقراره الذاتي، ولم يأخذ الإسلام بالنسب أو بالوراثة، بل إن هذا الاختيار الإرادي جعل هوفمان يدفع الثمن الكبير للابتلاء الذي حلَّ به كما سيرد في موضوع اعتناقه الإسلام.

❋❋❋❋

وحول رؤية هوفمان (المُنصفة) فهو يرى أن الغرب ليس واحداً، خاصةً في التعاطي مع الإسلام وقضاياه. فهناك أمريكا وهناك أوروبا، وكلها ليست واحدة في تعاطيها المنحاز ضد الإسلام وقضايا المسلمين. وعن هذا كَتَبَ أحد مُعرِّفي هوفمان في مقالةٍ له بأن هوفمان ناقد: «للموقف الأوروبي المتعصب تجاه المسلمين بوصفهم جسماً غريباً في حضارة الغرب، عارضاً بعض الاستبيانات التي أُجريت هناك، والتي بيَّنت أن الأوروبيين ينقسمون في نظرتهم للإسلام بين كونه خطراً على حضارة

أوروبا! أم لا».[(١)]

ويؤكــد على هذا الدكتور أنيس أحمد في تقديمه لأحد كُتب هوفمــان، بقوله: «وعلــى الرغم مما يجهر بــه المفكرون وصنَّاع السياسة في الغرب من تَمييز وتَحيُّز ضد الإسلام والمسلمين، إلا أن هنــاك تبايناً في رد الفعل العام للإنســان العادي الذي يعيش في الغرب، فتفاعل المسلمين كأشخاص مهنيين وأطباء ومهندسين ومعلمــين ورجال أعمال يســاعد على تغيير الصــورة التعميمية للمســلمين، التي تظهر في وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية فــي الغرب. وقد اقتنع بعض كبار المســؤولين والمفكرين الغربيين بعد لقاءات هادفة مع الإســلام والمسلمين فاختاروا الإسلام نهجاً أفضل في الحياة، ولكن ما تزال هواجس أشباح التطرف الإسلامي والتعصب والعنف والتمييز بين الرجل والمرأة تسيطر على عدد من المنشورات الدورية ووسائل الإعلام في الغرب».[(٢)]

ومن المهم التنبيه بأن هوفمان يُفرِّق كذلك بين فوز الإسلام وصعــوده في ميادين الفكر وبين ضعف كثير من المســلمين في

(١) انظر: أحمــد نور الدين، مقال بعنــوان: (مراد هوفمان.. الدبلوماســي الداعية)، موقع صدى البلد، بتاريخ ١٩ يناير ٢٠٢٠م، الرابط التالي: https://www.elbalad.news/4139139.

(٢) انظر: تقديم البروفيسور الدكتور أنيس أحمد لكتاب مراد هوفمان (نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث)، ص١٤.

عصورهـــم المتأخرة في إيصال حقيقة دينهم وعقيدتهم الناصعة ورســـالة نبيهم الناصحة، بل وقضيتهم الرابحـــة، لكنه يرى أن القضية قضية وقت بالنسبة لفوز المســـلمين وانتصارهم عملياً بعقيدتهم في ملاعب المنافســـة الدولية بين صراع الأفكار وبين ســـيادتها؛ لأن هذا مرهون بصدقهم مـــع دينهم، ولأن كثيراً من المســـلمين في هذا العصر-بوضعهم الراهن- غير قادرين على دخـــول هذه الملاعب بكفـــاءة الكبار! بالرغم مـــن أن عقيدتهم الصافية وديانتهم بتشـــريعاتها العادلـــة حاضرة بقوة في ميدان المنافسة الفكرية، وهو العنصر الأساس في المنافسات الحضارية والتفوق. وهذا ما يدعو للعمل لهذا الدين بقوة، ولا يجمع الله بين عسرين على أمة الإســـلام، فعسر الحروب والصراعات والمحن جاءت برحمة الله مع يُسر انتشار الإسلام وانتصاره. كما أن عسر عوائق الدعوة والتحديات المتتابعة أصبح يصحبها يُسر الوسائل العلمية والمعرفية والإعلامية المتاحة بصورة غير مسبوقة.

❋❋❋❋

وفي هـــذا التتبع والكتابة عن القضيتين الرئيســـيتين في هذا الكتاب من كُتب هوفمان وتراثه كانت هذه الاقتباســـات في الفصول الأربعة الأولى من هذا الكتاب. حيث أن في هذا خدمةً لموضوع مهم يَشْـــغَل الساحة الفكرية المعاصرة، كما أن فيه وفاء

لشخصه المجاهد بقلمه وفكره، وهو المتفائل عن مستقبل الإسلام والمسلمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-. والأهم من هذا أن أفكاره ورؤاه المتميزة تُجيب عن كثير من تساؤلات الساحة الفكرية والسياسية.

ومن المهم التذكير أن هذا الكتاب بهدفه الواضح ومصادره المُحدَّدة هو عرض لرؤية مفكر مسلم غربي عن حقيقة الحضارة الغربية وتشخيصها، بدولها وواقعها الفكري والأخلاقي وما يصْحَبُ هذا من مؤشرات الأفول والسقوط، دون شروحات. كما أن هذا الكتاب كذلك عن رؤية هوفمان حول حقيقة الإسلام، وما يتضمنه من مؤشرات الصعود والفوز والانتصار، دون أي شروحات كذلك؛ وذلك لحرصي الشديد أن يتعامل القارئ مع نصوص هوفمان لوحدها، دون إضافات في الفصول الأربعة المعنية.

ولعل هذا الكتاب إن حظي بترجمات له إلى بعض اللغات العالمية -وهو المأمول- أن يكون مُسهماً فاعلاً بالتعريف أكثر بالمفكر هوفمان وأبرز رؤاه ومؤلفاته التي تستحق نشراً أكثر وخدمة أكبر، بل وإعداد الأفلام التعريفية عن كُتبه ورؤاه المتميزة.

وأدوِّن تأكيد قناعتي العلمية بعد القراءة في كُتب هوفمان المتنوعة أن الكتابة رسالة وأمانة، وأن الكتاب أو المقال لا بد أن يتضمن هدفاً واضحاً للرسالة لدى المؤلِّف أو الكاتب؛ حيث أهمية العمل بمفهوم أو فلسفة: (الكتاب أو المقال لقارئه، وليس لكاتبه)، ويتقابل مع هذه الحالة أو يتعاكس معها حينما يكون

العمل بالحالـــة الأخرى (الكتاب أو المقال لكاتبه وليس لقارئه)، وهـــو في هذه الحالة الثانية ربما لا يتجاوز كونه (دعاية للكاتب أو المؤلف أو لقضية مُعَيَّنة).

وبمعنـــى إضافي آخر أن من أســـرار قبول القارئ أن يكون للكتاب أو المقال (رسالة) قائمة على قول الحقيقة. كما أن اعتبار الأجر والقبول لدى أي مؤلف أو كاتب هو الجانب الغيبي المرتبط بقبـــول العمل في الســـماء. وهذا مدعاة ليكـــون له القبول في الأرض. وأحســـب أن كتابات هوفمان ذات هدف واضح ورسالة غيورة، ولعلها خبيئة له عند ربه. وأرجو أن تكون هذه الكتابة عنه وعن رؤاه ذات رسالة كذلك، ومن الله وحده التوفيق والسداد.

وتتكون مادة هذا الكتاب من خلال اختيار بعض (النصوص المقتبسة) من كتب مراد هوفمان المتوفرة باللغة العربية، وحسب ترجمتها العربية. ويمكن للباحث في حال الالتباس في اللغة أو المفهوم الرجوع إلى أصل الكتاب بلغته الأصلية.

ومشروع هذه الاقتباسات مُنحصر في هذه الكتب العشرة (الرحلة إلى الإســـلام: يوميات دبلوماسي ألماني «يوميات ألماني مســـلم» -حســـب الترجمتين-، الإســـلام كبديل، الإسلام عام ٢٠٠٠، رحلة إلى مكة، الإســـلام في الألفيـــة الثالثة ديانة في صعود، الإسلام: كما يراه ألماني مســـلم، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، في تطور الشريعة الإسلامية، نظام الحكم الإسلامي

في العصر الحديث، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق).

- المنهجية في الاقتباس وترتيب مجموعات النصوص:

في هذا الكتاب تم الاقتباس والاختيار لنصوص من أقوال هوفمان بعد قراءة لعشرة كُتب من مؤلفاته، ومجموعة كبيرة من أبحاثه ومحاضراته، ثم كان التصنيف لهذه الاقتباسات بفصول أربعة ولكل واحد منها عنوان رئيس للفصل، ثم تصنيف الفصل الواحد إلى مجموعات من الاقتباسات المتجانسة في الفكرة والموضوع. وتم بعد هذا اختيار عناوين لهذه الاقتباسات ووضعها في الفصل الأول والثاني المعنيين بأفول الغرب بتسلسل واحد (من المجموعة الأولى إلى المجموعة الثانية عشرة)، وكذلك في الفصل الثالث والرابع المعنيين بصعود الإسلام بتسلسل واحد كذلك (من المجموعة الأولى إلى المجموعة الثالثة عشرة). وكل هذه العناوين الرئيسة للفصول، أو العناوين الفرعية للاقتباسات مأخوذة من ألفاظ أو مفهوم النص المقُتبس قدر المستطاع. والعنوان مسألة اجتهادية ربما يكون مُعبِّراً عن مضمون الاقتباس أو عن معظمه أو مقارباً له.

وكتابة العناوين الفرعية للنصوص المقتبسة ليست إلا من باب التسهيل على القارئ؛ لتسلسل أفكار الاقتباسات النصية بموضوعات متجانسة، تتكامل فيما بينها بعض الأفكار أو الرؤى لهوفمان قدر المستطاع. وقد كان الاختيار والتصنيف الموضوعي

للاقتباسات عملية شاقة وعسيرة؛ لتداخل الموضوعات فيما بين المجموعة الواحدة، وكذلك فيما بين المجموعات في الفصل الواحد.

والذي يهم القارئ هو الاقتباس ذاته. وحاولتُ ألا أنتزع نص الاقتباس من سياقه، ولذلك جاءت بعض الاقتباسات طويلة، وفي بعضها إضافة [قوسين معكوفين] وداخلها توضيح لضمير أو كلمة مأخوذة من سياق الموضوع ذاته.

كما حرصت على أن تكون الأسماء الأجنبية الواردة داخل النصوص بالحروف العربية مضافاً إليها الاسم كذلك بالأحرف اللاتينية للتسهيل على المترجمين وتلافي التباس الأسماء، وذلك في حال تمت ترجمة الكتاب إلى لغات أخرى.

وقد ورد التكرار عند هوفمان في بعض الاقتباسات، وكان باختلاف يسير بين مفردات النصوص أحياناً. وفي الغالب أنه تكرار جاء من عدة كتب. وربما أنه جاء في سياقات متنوعة، وهذا ما فرض بعض التداخل بين مجموعات الاقتباسات كشأن أي قضية علمية، لكن هذا التكرار عند هوفمان وفي هذا الكتاب تحديداً يُوضِّح التأكيد على قناعات هوفمان برؤاه الفكرية التي لم تتغير على مدى كتابة مؤلفاته المتعددة خلال أربعين عاماً قضاها في الإسلام والدعوة إليه من خلال مؤلفاته ومحاضراته.

وحول منهجية هـــذا الكتاب فهو قائم على جمع النصوص المقتبســـة وليس معنياً بالدراسة التحليلية لعموم أفكار هوفمان ورؤاه ســـوى ما ورد في هذه المقدمة، ثم ما استوجب من بعض التمهيـــد والتوضيح في مقدمات الفصول فقـــط. إضافةً إلى معظم ما ورد في الفصل الخامس والخاتمات.

كما أن هذا الكتاب ليس معنياً بالكتابة عن شخصية هوفمان باستفاضة، وهذه الكتابة كذلك ليست معنية برؤاه الاجتهادية أو ما يمكن تســـميته بالتفسير الجديد للإسلام على أسس القرآن كما هي مضامين بعض أطروحاته. وليس الكتاب معنياً بالجوانب الفلســـفية التي تَوصَّل إليها مفكرنا، ولا عن مفاهيمه أو فهمه حول تطور الشـــريعة الإسلامية أو أنظمة الحكم الإسلامي في العصـــر الحديث. فكل هذه موضوعات كبيرة تســـتحق البحث والدراســـة لتكون مشـــاريع أخرى متعددة للباحثين والدارسين المهتمين، كما سوف يرد في خاتمة هذا الكتاب!

بل إن هذا الكتاب ليس معنياً بنقد الحضارة الغربية لذات النقد، بقدر ما هو معني بالنقد المرتبط باستشـــراف مستقبلي عن أفول حضارةٍ قدّمت كثيراً من الهدايا الثمينة للبشـــرية مما لا يسع المقام لذكرها هنا، بقدر ما هو معني بالحديث عن جذور فكرية تكمن فيها المخاطر الحالية والمســـتقبلية على الإنسانية جمعاء، حيث بعض المســـتجدات والتحولات القاتلة في مســـار

حضارة الغرب. ولهذا فنقد هوفمان الموضوعي للحضارة الغربية هنـــا لا يدخل ضمن النقد الذاتي الغربي للحضارة الغربية التي تميز بها بعضُ عقـــلاءِ ومثقفي الغربِ ومفكريه عن حضارتهم، وفي أحيانٍ أخرى يأتي النقد من رجال سياستها كصحوة ضمير!

وكان مـــن المنهجيـــة في هـــذا الكتاب العمـــل على بعض التصحيحات اللغوية الواردة في بعض كلمات الترجمات للنصوص المنقولة، فبعضها غير مدقق لغوياً، كما أن النص لبعض تعبيرات هوفمان يمكن أن يكون مـــن الاجتهاد الخاطئ له وهو ما تطلَّب بعض التعليقات المحـــدودة في الهوامش عـــن الغامض كذلك، وكذلك تم إضافة بعض التوضيحات لبعض الكلمات أو التصحيح في لغة الترجمة بوضع الإضافة بين قوســـين [معكوفين]. كما أن ورود ثلاث نقاط داخل النصوص (...) تعني أن للنص تكملة في المصدر الأساسي.

ومما يجدر التنبيه عليه أن بعض المصطلحات أو الأســـماء الواردة في النصوص تطلبت أحياناً وربما بصورة محدودة وضع هوامش مستقلة للتعريف بهذه الأسماء أو المصطلحات.

❋❋❋❋

وأســـاس هذا الكتاب وموضوعه هي النصوص المقتبســـة الواردة في **(الفصـل الأول والثـاني)** كفصلين متكاملين عن أفول

الغرب وحضارته، وفي **(الفصل الثالث والرابع)** كفصلين متكاملين فيما بينهما عن صعود الإسلام وانتصاره والتي تُعدُّ نقولات مختارة من كُتبه العشرة تقريباً، فهذه الفصول أشبه بألبوم من الصور المنقولة. ومن أراد المعرفة أكثر عن النص وسياقه فيمكنه الرجوع إلى مصدره المشار إليه. وغالباً فإن معظم كُتب هوفمان متوفرة في شبكة المعلومات (الإنترنت) خاصةً المنشورة باللغة العربية.

ويأتي **(الفصل الخامس)** بعرض علمي عن مضامين موضوعات كُتب هوفمان العشرة كخلاصات تعريفية بالكتب، ثم عرض واختيار من أبرز مَنْ كَتَبَ عن هوفمان ونَقَلَ عنه، مما يُؤكد على ما ورد من أقوال له في كتاباته وكتبه أو محاضراته وندواته، ليأتي بعد هذا عنوان **(ما قبل الخاتمة)**، حيث أهم نتائج القراءة في النصوص المقتبسة؛ لأنها مما يستحق الإفراد قبل عموم النتائج والتوصيات في الخاتمة، وذلك حول وَهْم الحداثة، ثم مزايدات الغرب ببعض قِيَمهم، وكذلك عن مخاطر الأدمغة المُستَعمَرة على المسلمين، باعتبار أن هذه من أهم النتائج وأبرزها لحقيقة ظَهرَت، واتضحت أكثر عند تأليف هذا الكتاب وذلك من خلال قراءة النصوص، وقد اكتفيت بهذه النتائج مع الخاتمة والمقدمات عن أي تعليق أو تدخل في نصوص الاقتباسات؛ لأن هذا في رأيي شأنٌ آخر خارجٌ عن موضوع الكتاب وهدفه.

وتأتي بعد هذا **(خاتمة الكتاب)** التي أوضحتُ فيها بشيء من التفصيل أبرز نتائج البحث وتوصياته ومقترحات عن مشروعات علمية للاستفادة من تراث هوفمان.

وأسجل هنا قناعتي أن هذا الكتاب لا يُغني عن القراءة المطوَّلة والعميقة في كتب مفكرنا؛ لأن الاقتباسات الواردة في هذا الكتاب لا تعني الاستقصاء الكامل لهذا الموضوع أو عن كُتُبِه ومحاضراته وندواته ومقابلاته، بقدر ما هي اقتباسات ونماذج تدعو لقراءةٍ أكثر، وكتابةٍ أشمل، وتحليلٍ أعمق.

كما أفردتُ **(ملاحق)** بعد خاتمة الكتاب، وفيها قائمةٌ مُترجمةٌ من الألمانية عن أبرز مقالاته وأبحاثه ودراساته، وملحق ثانٍ عن بيان أو جدول بالمقالات التي كَتَبَت عنه في حياته وبعد مماته، وملحقٌ ثالثٌ عن معلومات الطبعات والترجمات لكتب هوفمان المعروفة. والملحق الرابع مرثية شعرية بعد وفاته، والكمال لله وحده.

وهذه الإضافات من الملاحق على الموضوع الرئيس جاءت بهدف التسهيل على الباحثين والدارسين في رؤاه التي تستحق الخدمة العلمية، ولعل هذا الكتاب يكون فكرة أساسية أو أولية لتأسيس مشاريع علمية أخرى عن بعض القضايا التي أثارها هوفمان، وتستدعي قراءات أشمل بمقارنات مع كتابات غيره من الغربيين المنصفين، مما تفتقر إليه ربما معظم الساحات الفكرية

اليوم، وما يحتاج له المسلمون بصفة خاصة في بداية مرحلة يقظتهم ونهوضهم خاصةً حول هذه المسألة الغربية ومنافسة الإسلام في القرن الواحد والعشرين قرن الإسلام كما سمَّاه هوفمان.

ولعل هذا الكتاب كذلك يلفت النظر بهذه الاقتباسات النصية المستخلصة من كُتب هوفمان وتراثه وفكره؛ ليفتح بعض الآفاق لمشاريع علمية أخرى ذات أهمية حضارية أكثر حول قضايا كُبرى لدى هذا المفكر، ولتكون بداية هذه المشروعات جمع المادة العلمية لتراث هذا المفكر والعمل على إصدار (مجموعة شاملة) أو (أعمال كاملة) للدكتور مراد هوفمان -كما ورد التفصيل عن هذا بالخاتمة- فهو استحقاق ديني وأخلاقي على الأجيال ولها. وهو حق مشروع له وللتاريخ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ (الكهف:٣٠).

كما أن من المهم في ختام هذه المقدمة لفت نظر القارئ أن تقديم موضوعات أفول الغرب على فصول صعود الإسلام لا يعني أن الثاني مترتب على الأول، ففوز الإسلام يرتبط بانتشاره الواسع وبعودة المسلمين إلى دينهم بقناعة عقدية، كما أن من المهم التوضيح بمقصود المفهومين الرئيسين موضوع الكتاب، وهما: أن (**احتضار الغرب**) أو أفوله وسقوطه سواءً كان هذا الأفول هو الأفول الحضاري الذي يعنيه هوفمان في معظم كتبه، أو الأفول الديموغرافي الذي يعنيه باتريك بوكانن في كتابه

(موت الغـــرب)، فإن هذا لا يعني بالضـــرورة نهاية الغرب إلى العدم بدوله ومنظماته ومنظوماته الأممية، بقدر ما يعني ضعف سيادته الاســـتعمارية وقوته المادية والعسكرية، وسقوط تأليهه الفكري، وتضعضـــع تقديس علومه ومعارفـــه، وبقدر ما يعني انكفاء الغرب للداخل، وعدم التدخل السياســـي والعسكري في سيادة الدول الأخرى خاصةً بحق دول الإسلام وشعوبه. ويمكن أن يُعد من نماذج الانكفاء الذاتي الغربي ما يحدث في الساحات الدولية من انسحابات عسكرية ودولية من مواقع ودول متعددة وذلك فيما بعد عام ٢٠٢٠م.

كما أن (**صعود الإسلام**) وانتصاره لا يعني تحول البشرية إلى الإســـلام؛ لأن هذا خلاف السُـــنن الكونية. ولا يعني بالضرورة كذلك قيـــام وحدة إســـلامية أو دولة إســـلامية مُوحَّدة -كما قـــد يفهم بعض القُـــراء- بقدر ما يعني علو الإســـلام بعقيدته وقِيَمِـــه في نفوس النـــاس، وفوز أفكاره أمـــام الأيديولوجيات الأخـــرى العالمية، وبقدر ما يعني كذلك تَحرُّر دول العالم العربي والإســـلامي من رِقِّ الهيمنة الغربية وتَدخُّلاتِها وسيطرتها على السياســـات والاقتصاديات والحريات داخل دول العالم العربي والإســـلامي، وما يصحب هذا التحرر أو يتبعه من قوة وسيادة وريادة مســـتقبلية لأمة الإســـلام بين الأمم وثقافاتها، وبالتالي

ما سيترتب على هذه المفاهيم حول الأفول من تَحقُّقِ أمة الإسلام الواحدة، فالمسلمون في معظم تاريخهم كان نجاحهم في تحقيق الأمة الواحدة، كما أرشد القرآن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠). وهذا أكبر وأهم في اعتقادي من كونهم دولة واحدة أو خلافة إسلامية موحَّدة. فهذا الفوز للإسلام مما يُحقق (الأمة الواحدة)، ومما يمنح التحرر لدول الإسلام، وهما مرحلة أولى للنهوض والبناء الحضاري والمنافسة الدولية، وانتصار الإسلام قبل انتصار المسلمين هو ما حصل تاريخياً مع رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عهد النبوة، وهو ما يتوافق مع السنن الربانية الكونية، بل إن مما يجب فهمه واستيعابه أن فوز المسلمين -لو حدث قبل انتصار عقيدتهم ودينهم وانتشار أفكاره وقِيَمِه والعمل بها- يُعدُّ كارثة تقود إلى التشويه والهزيمة اللاحقة التي سوف تضر بالإسلام والمسلمين -لو حدث- والتلازم بين الأمرين واضح كما قال تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد:٧)، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (يوسف:٢١).

❋❋❋

تمهيد وتعريف عن هوفمان

■ بطاقة المفكر هوفمان (العلمية والعملية) في سطور:

- ١٩٣١م ولد في هذا العام بتاريخ ٦ يوليو، لأسرة كاثوليكية في أشافنبورغ بألمانيا.
- ١٩٥٥م أكمل دراساته في القانون بجامعة مِيُونِخ، بعد أن اجتاز امتحان الدولة الأول في القانون.
- ١٩٥٥-١٩٥٩م عمل هوفمان -خلال فترة عمله كمتدرب قانوني- كمساعد لقانون المرافعات المدنية في جامعة مِيُونِخ، وفي مكاتب المحاماة الألمانية والأمريكية.
- ١٩٥٩م اجتاز امتحان الدولة الثاني في القانون في جامعة مِيُونِخ.
- ١٩٦١م حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد الأمريكية.
- ١٩٦١م انضم إلى وزارة الخارجية وعمل في السلك الدبلوماسي.
- ١٩٧٩-١٩٨٣م ترأس وحدة "الناتو والدفاع" في وزارة الخارجية الاتحادية الألمانية.

- ١٩٨٠م اعتنق الإسلام بعد دراسات عميقة.
- ١٩٨١م ألّف (أول) مقال علمي رصين عن الإسلام بعنوان: (طريق فلسفي إلى الإسلام).
- ١٩٨٢م وعام ١٩٩٢م أدى شعائر العمرة والحج.
- ١٩٨٣-١٩٨٧م عمل مديراً لقسم المعلومات في حلف شمال الأطلسي (الناتو) في بروكسل.
- ١٩٨٥م ألف أول كتاب له بعنوان: (يوميات ألماني مسلم).
- ١٩٨٧-١٩٩٠م عمل سفيراً لألمانيا في الجزائر.
- ١٩٩٠-١٩٩٤م عمل سفيراً في المغرب، وبعد ذلك تقاعد من العمل الحكومي في عمر ٦٣ سنة، ثم تفرَّغ للتأليف والكتابة.
- ١٩٩٢م ألف كتاباً بعنوان: (الإسلام كبديل) وهو الذي أحدث ضجيجاً في الغرب.
- ١٩٩٥م ألف كتاباً بعنوان: (الإسلام عام ٢٠٠٠).
- ١٩٩٦م ألف كتاباً بعنوان: (رحلة إلى مكة).
- ٢٠٠٠م ألف كتاباً بعنوان: (الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود).

- ٢٠٠١م ألف كتاباً بعنوان: (الإسلام - كما يراه ألماني مسلم).
- ٢٠٠٢م ألف كتاباً بعنوان: (خواء الذات والأدمغة المُستَعْمَرة).
- ٢٠٠٣م ألف كتاباً بعنوان: (في تطور الشريعة الإسلامية).
- ٢٠٠٣م صدر له كتاب بعنوان: (نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث).
- ٢٠٠٧م صدر له كتاب بعنوان: (مفهوم الإسلام - محاضرات ١٩٩٦-٢٠٠٦م).
- ٢٠٠٨م صدر له كتاب بعنوان: (مستقبل الإسلام في الغرب والشرق).
- ٢٠٢٠م توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (١٣ يناير ٢٠٢٠م). [**وانظر مرثية شعرية عنه في الملحق الرابع**].

❋❋❋

■ عن اعتناقه الإسلام وبلائه وابتلائه، وأهمية الحوار:

تعرَّض هوفمان في بداية حياته وقبل إسلامه لحادث مرور مُـــروّع، ووقتها قال له الجرّاح بعد علاجـــه: «إن الحادث الذي تعرض له بأمريكا لا ينجو منـــه في الواقع أحد، وأنه يتوقع أن الله يدَّخر له شيئًا خاصاً جدا»، يعني في مستقبل حياته، فيقول هوفمان عن نفسه: تذكرت هذا القول بعد إسلامي!

ومما قال عن إســـلامه ما دوَّنه في كتابه (الطريق إلى مكة) وكيف قام سائق جزائري بالتبرع بدمه لإنقاذ زوجة هوفمان، التي كانت قد تعرضت للإجهاض بسبب الأحداث الجارية في الجزائر آنذاك عام ١٩٦٢م. وكانت هذه الحادثة قد أثَّرت عليه وأثارت في نفسه دهشةً وانبهاراً من مساعدته بالدم تطوعاً وبأريحية المسلم. وكانت الحادثة ســـبباً في ابتداء قراءته للقرآن. كما أن اهتمامه بالفنون وعلوم الجمال جعله يتعرف على فنون العمارة الإسلامية، بما تشمله من مساجد ومكتبات وقصور وغيرها.[١]

وأكَّـــد عقب اعتناقه الإســـلام عـــام ١٩٨٠م أنه تعمق في دراســـته. وكان من أهم أسباب إسلامه ما لفت انتباهه بقوة هو نقاء عقيدة الإسلام فلا دين آخر مثله، حيث لا خطيئة موروثة، ولا واســـطة بين العبد وربه، ولا يغفر الذنـــب إلا الله بخلاف

(١) انظر: مراد هوفمان، مدخل تعريفي لكتابه (في تطور الشريعة الإسلامية)، ص١٧-١٨.

العقيدة النصرانية.

يُضاف إلى ما سبق عن أبرز وأهم أسباب إسلامه ما وجده في أخلاق المسلمين الطَّيبة كما قال. وهو ما جعله يقتنع بالإسلام أكثر وأقوى. كما أنه كشف عن تأثره بالثورة الجزائرية ضد الفرنسيين؛ حيث جهادهم لقضية تحرير بلادهم. وقد اعتبرها أحد أسباب إسلامه.

وكان لعمله بعد إسلامه سفيراً بالجزائر ثم المغرب تأثير كبير على حياته، حيث تغيرت بشكل كامل، فهناك عَاشَرَ حياة المسلمين وتعامل معهم عن قرب، وأدرك قيم الإسلام وأخلاقيات المسلمين. ورأى بنفسه التناغم والتوافق بين تشريعات الإسلام والمظهر الديني العام للمسلمين. كما رأى بعينيه جمال الفن المعماري والهندسي الأخَّاذ خاصة في مساجد المسلمين وقصورهم التاريخية في المغرب والجزائر وتركيا وبلاد الأندلس، وما فيها من إبداع يعكس حضارة الإسلام وأهله.

ومما قاده إلى الإسلام كذلك مادية الحضارة الغربية، وعُقْمِ علم الاجتماع الغربي، وقيام هذا العلم على إنكار كل القيم المرتبطة بغاية الوجود الإنساني في الحياة ومصيرها، وبُعْدُ هذا العلم عن الحياة الروحية. فاعتناقه الإسلام كان نتيجة منطقية في حواره مع نفسه؛ وذلك للإجابة على تساؤلاته الذاتية وتأملاته النفسية والفكرية عن حقيقة الحياة!

- الفلسفة والإيمان عند هوفمان:

مـــن خلال قراءتي لما دَوَّنه هوفمان في كتابه (يوميات ألماني مسلم) أن السبب الرئيس لانحراف الغرب عن ديانتهم النصرانية هو ذاته الســـبب الرئيس الذي ســـاق هوفمان للإسلام. فالغرب الذي كَفَر بدينه النصراني كان نتاج بحثه المادي والعقلي البشري والفلسفي عن الحقيقة بصورة محسوسة ملموسة بسبب تقديسه للعلوم الطبيعية! لكن ما هَدَى هوفمان هو أن جعل وسيلة الإيمان بالله ليست العلوم المادية ولا وسائل المحسوس والملموس ولا علم الفلسفة، وإنما هو التسليم المطلق لله رب العالمين، وتجاوز الإرهاب العلمي، ونبذ جدلية الفلســـفة التي كرر القول عنها بأنها ليست الطريق الصحيح للوصول إلى الحقيقة؛ لأن العقل البشـــري غير قادر إطلاقاً على الحصول على حقيقة الكون والحياة والإنسان، واستدل بقول الإمام الغزالي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعد طول عناء مع الفلسفة بأنها (طريق مسدود) لمعرفة الحقيقة.

ويقول هوفمان عن الحواس البشـــرية: إنها لا تنقل سوى الســـطح، فهي فقط قابلة للقياس الكمـــي! وهو يرى أن قبول الوحي والاعتراف بالنبي محمـــد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الأنبياء ليس قراراً معرفياً أو فلسفياً! لكنه قرار إيمان وتسليم لله وحده! وعن هذا ونحوه يقول: «أدركتُ فجأة بإحساسي الدفين أن حدود ما يمكن أن نعرفه ليســـت حدود الحقيقـــة، وهذا هو القرار الذي

دفعني إلى الإيمان... وهكذا فقد اخترتُ بوحي من فكري وعقلي وطائعاً مختاراً أن أُسْلِمَ أمري وفكري وعقلي إلى الحقيقة الكبرى التي أشعر بأنني ذرة صغيرة منها. وأسلمتُ لله رب العالمين: الله أكبر كبيراً، وهو أكبر مما يمكن أن نتصور. وإنني إذ أقول ما قلت، لا أريد أن أقود أي شخص إلى منزلق شديد الزلل لتعريف الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا استطعنا تعداد أسماء الله الحسنى وصفاته التسعة والتسعين، فإننا لن نستطيع وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلغتنا البشرية القاصرة المحدودة؛ إذ إنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكما أننا محدودون بمفرداتنا ومصطلحاتنا اللغوية، فإننا لا نستطيع حتى بما نقرؤه من كلام الله، أن نعبِّر عن ذاته العظيمة التي ليس كمثلها شيء. ولو أنني قلت المزيد لانتقصتُ من قدر الموضوع».(١)

والمهم في هذا أن الفلسفة وعلم الكلام والمنطق كلها ليست طريقاً صحيحاً للإيمان، بل إن الإيمان بالله لا يلزم له برهان فلسفي. وهذا ما يستوجب التسليم المطلق لله في الخلق والتكليف بالعبادة والطاعة. وفي موضوعات الحداثة في نهاية الفصل الأول، وفي موضوع ما قبل الخاتمة بعض اللفتات العلمية التي ربما تضيف أبعاداً أخرى حول الفلسفة والشك والعقل والنص.

(١) انظر: مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام يوميات دبلوماسي ألماني، ص١١٩.

- ابتلاؤه وبلاؤه:

تَسبَّب إسلام هوفمان بصدمة كبيرة إعلامية في ألمانيا عقب إعلان إســـلامه عام ١٩٨٠م، وحاربته الصحافة الألمانية محاربة شرسة حيث لم يكن شخصاً عادياً، وحتى والدته حين أرسل إليها رسالة أشـــاحت عنها وقالت: ليبق عند العرب! وفي هذا ابتلاء عاطفي كبير تجاوزه هوفمان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بقوة الإيمان واليقين.

وحول موقفه من بعض الابتـــلاءات التي تتابعت عليه أكَّد هوفمـــان في لقاءات عدة أنه لم يكترث للحملات الضارية التي كانت ضد إسلامه، وقال عنها: «عندما تعرضت في عام ١٩٩٢م لحملة طعن وتجريح شرســـة في وسائل الإعلام بسبب إيماني لم يســـتطع بعض زملائي أن يفهموا عدم اكتراثي بهذه الحملة، أو أنهـــم عدُّوه نوعاً من الكبرياء والغطرســـة. وكان من الممكن العثور على تفســـير لهذا السلوك من جانبي في الآية الخامسة من ســـورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. في تلك الأثناء صارت الصلاة بالنســـبة لـــي عنصر تنظيم لحياتي على جانب كبير من الأهمية، حتى إنني لم أعد أرغب في العيش في بلد لا أستطيع أن أســـمع فيه نداء المؤذن الجميل للصلاة، كما هي الحال في فاس، وفي إسطنبول مرة أخرى أخيراً».[١]

(١) انظر: مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٦٩.

وفـــي حقيقة الأمر أن من صـــور الابتلاء العظيمة للمفكر المســـلم الغربي إضافةً لبيئتـــه الغربية وما فيها من تحديات أن يلتقي ويتحاور مع مفكرين محســـوبين على الفكر الإسلامي من دعـــاة العصرانية والتنوير والحداثة مثـــلاً، ومع هذا لم تَزِلَّ به قدمه كما حدث -على ســـبيل المثال- فـــي حواراته مع المفكر التونسي عبدالمجيد الشـــرفي المُختَلِف معه فكرياً حينما كانت شراكتهما بالندوة الثقافية التي ظهرت بعد ذلك بكتاب بعنوان: (مستقبل الإسلام في الغرب والشرق).[1]

وكان هوفمان قد عاد إلى الجزائر مرة أخرى عام ١٩٨٧م، ولكن ليكون ســـفيراً لألمانيا هذه المـــرة، ومن ثم تم اعتماده بعد ذلك ســـفيراً في المغرب عام ١٩٩٠م، وحينذاك قام بنشر كتابه «الإسلام كبديل» Der Islam als Alternative،[2] والذي كان ابتلاءً آخر.

وقـــد أحدث صـــدور كتابه **(الإسلام كبديل)** عام ١٩٩٢م صدمة أخرى في الأوســـاط الغربية، خاصةً الأوروبية، لا سيما أنـــه كان ما يزال ســـفيراً لبلاده في المغرب. وقـــد جُوبه كتاب الإســـلام كبديل بحملة عدائية كبيرة وصلـــت إلى حد المطالبة بعزله عن منصبه ســـفيراً لألمانيا، واتهامـــه بالأصولية ومعاداة

(١) انظر التعريف بهذا الكتاب والشراكة فيه (الفصل الخامس).

(٢) انظر: مراد هوفمان، مدخل تعريفي لكتابه (في تطور الشريعة الإسلامية) ص١٨-١٩.

المرأة والدعوة إلى تحويل ألمانيا إلى دولة إسلامية! وهي صورة أخرى من الابتلاء لشخصه ودينه، وقد وقف صامداً. ووصف هوفمان كتابه هذا بأنه ليس إلا محاولة لتناول الإسلام ديناً وحضارة، «كما أنه مرافعة تُدافع عن الإسلام وتزكِّيه» ثم يضيف أن «الإسلام كان إبان الصراع بين العالم الغربي والشيوعية يستطيع أن يعد نفسه الطريق الثالثة المباينة لهما»... «أما اليوم فإن الإسلام يطرح نفسه بديلاً لكلا النظامين». ويُنهِي كلامه بأنه «البديل الوحيد».[1]

ومما قال هو عن هذا الابتلاء: «عندما نَشَرَت دار ديتريش الألمانية في عام ١٩٩٢م كتابي «الإسلام كبديل» ثارت زوبعة هائلة في وسائل الإعلام، وفي دوائر الأحزاب، وفي البرلمان. وكان القبول بما ثار آنذاك يُعدُّ تَفريطاً؛ لأنه كان يتجاوز شخصي بكثير، فقد كان حَمْلَة قذف وتشويه مُنظَّمة تستهدف ما هو أبعد من شخصي. لقد حاولتُ في كتابي المذكور، وبمنهج عقلاني، دحض جميع التحيزات والأفكار الخاطئة وغير المعقولة، السابقة والضاربة بجذورها في أعماق الوجدان الألماني حيال الإسلام، ولا سيما أنني كنت أشعر بضراوتها وتبادرها للذهن الألماني قبل أي دراسة أو معرفة بالأمر».[2]

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٨-١٩.

(٢) انظر: مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص٥.

وما سبق حول اكتشافه الإسلام وبواعث إسلامه يؤكد على أهمية الحوار بمراكز متنوعة وبوسائل حديثة مع عموم الشعوب الغربية، وكذلك مع مفكريهـــا وعلمائها والمثقفين منهم، إضافةً إلـــى العاملين فـــي المجال الإعلامي. وهو الأمـــر الذي يتطلب معرفة كبيرة بوسائل الخطاب ومخاطبة الغرب ومعرفة أكثر عن العقلية الغربية الاستعلائية، لا سيما المتعصب منهم، مع أهمية توفر أدوات التواصل الفعَّالة مع هؤلاء.

❋❋❋

الخاتمات

- **ما قبل الخاتمة :**
  - **أولاً : الحداثة وأثرها على أفول الغرب!**
  - **ثانياً : مزايدات الغرب المتعصب حول حضارته وأبرز قِيَمه .**
  - **ثالثاً : من مخرجات الحضارة الغربية : الأدمغة المُستعمَرة وخواء الذات.**
- **الخاتمة (نتائج وتوصيات ومشروعات) .**

«إن جذور الأزمة الأخلاقية الحالية في الغرب تعود إلى ٢٥٠ عاماً مضت. فإن عملية الشفاء منها تبدأ بنقد جذري لعقلانية الحداثة، وما خَلَقَته من دين بديل. فلن يكون هناك أمل في الشفاء إلا إذا نجحنا في تحرير الغرب من وهم الحداثة التي تحكمه».

مراد هوفمان - الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود

ما قبل الخاتمة

من خـــلال قراءتي في كُتب المفكـــر الألماني مراد هوفمان وبعض أبحاثـــه ومقالاته، أجد أنه لم يكتب عن الحداثة بصورة مستقلة في كُتبه بقدر ما هو تضمين عند نقده للحضارة الغربية ومؤشرات انحرافها أو أفولها -كما يرى-، حيث أن رؤى هوفمان للحداثة الغربية جاءت بســـياق التوصيف والأثر كعوامل لأفول الغرب فقط. ولهذا وردت بعـــض التعريفات والمفاهيم في هذا الموضوع من غير أقوال هوفمان لمزيدٍ من الإيضاح حول النقص من التعريفات، والموضوع هنا ليس لمناقشة الحداثة ومصطلحاتها وتاريخها أو تفكيكها أو أنواع الحداثة والتباينات الغربية حولها وســـياقاتها المتنوعة وتعريفاتها الجدلية، لكنه عن رؤية هوفمان حول انكشـــاف مخاطرها على حياة الغرب وحضارته عدا عن من يأخذ بها من غيره.

وهوفمان في ظل كثير من الســـياقات الفكرية في كتبه قد ترجَّـــح لديه بأن الغرب قد ضَلَّ الطريق الســـوي الصحيح في حياته الفكرية والأخلاقية التي تضبط الحياة والسلوك وتضمن له البقاء، حيث إن فقدان العقيدة وضعف الأخلاق مؤثران بقوة على بقاء الحضارات وأركان قوتها. ومع هذا الواقع للغرب فإن هوفمان يـــرى أن معظم الغرب المتعصب -حكوماتٍ ورجال دين

وفكر- يغالط نفسه بغرور واستعلاء حول مخاطر تخبطاته الفكرية المتكررة والمتنوعة التي يعيشها اليوم، حيث تُعدُّ من أسباب بداية انهياره وعوامل أفوله.

والكتابة هنا تُعد من نتائج القراءة والتأمل في كُتبه وكتاباته، فهو يرى وبقوة أن مآلات الحداثة وما بعد الحداثة أدخلت معظم الغرب في انحرافات وصراعات فكرية مدمِّرة لحياته وقاتلة لمستقبله كما ورد بصورة خاصة بالنصوص المقتبسة في الفصل الأول، حيث أن موضوع الحداثة وما بعد الحداثة في مآلاتها المشتركة ما تزال تُعمِّق التخبط الفكري وتُضاعف من الخواء الروحي والخلل النفسي، فحداثة الغرب وما يُسمى التنوير وما بعد الحداثة تُعدُّ من أبرز مراحل تحولات الغرب عن دينه في تاريخه المعاصر، ولهذا فإن فهم ما ترتب على هذه التحولات مما يكشف كثيراً من جوانب القوة أو الضعف لدى الغرب لبقاء حضارته وسيادته على الأمم الأخرى وهيمنته السياسية المُهدَّدة بالضعف أو الزوال. كما أن متعصبي الغرب يكابرون بمزايدة مكشوفة عن بعض قِيَمِهم كحقوق الإنسان والمرأة والديمقراطية والعدالة خاصةً مع الإسلام والمسلمين! وكأن هذه القيم ماركة مسجَّلة للغرب وحدهم دون سواهم.

وقد يكون من أبرز النتائج حول الاقتباسات الواردة في هذا الكتاب ما تم إفراده هنا لأهميته بأكثر مما ورد في الخاتمة من

نتائج، حيث موضوعي وهم الحداثة كما هو تعبيره والمزايدات الغربية حول بعض القيم، إضافةً إلى مخاطر خواء الذات والأدمغة المُستَعْمَرة:

- أولاً: الحداثة وأثرها على أفول الغرب!:

تأتي أهمية الكتابة عن موضوع الحداثة هنا قبل خاتمة هذا الكتاب كأهم نتيجة من النصوص المُقتبسة. فالقراءة مثلاً في كتب المفكر هوفمان العشرة وهو ممن عاش حضارة الغرب وَسَبرَ أغوَارَه، جعلتني أقتنع كما هي قناعات هوفمان بأن أصل مشكلات الغرب الروحية والفكرية والأخلاقية وأسباب احتضاره وأفوله جاءت من نفسه وبأسباب ترتبط بتحولاته الفكرية، فهو يرى أن أساس داء الحضارة الغربية المُزمن ناتج عن أخذها بالحداثة هروباً من الدين وضوابطه أو قيوده، وللخلاص من توجيهاته والتحرر من مُحرَّماته كما أرادوا هم. فالديانة النصرانية المُحرَّفة أسهمت في نشوء الحياة الإقطاعية التي سادت معظم دول الغرب مع وجود الأنظمة المَلَكية المُستبِدَّة المتحاربة في ذلك الوقت، وهو ما أنهك اقتصادياتهم وأرواحهم، وبالتالي كانت ردود الفعل لدى الغرب تجاه دينهم المحرَّف باستبداله بما يسمى الحداثة!!

وأنموذج واحد من أقواله يكشف شيئاً من رؤيته حول فشل حداثة الغرب مع نفسه وذاته في حاضره ومستقبله، وذلك بقوله: «إن مشروع الحداثة قد فشل فشلاً ذريعاً في مسعاه لترويض الغرائز البشرية بالعقل وحده. وبدلاً من حلول جنة العالم الآخر على كوكب الأرض نشبت حربان عالميتان مدمِّرتان واستُخدمت الأسلحة الكيماوية والذرية. وارتُكبت المجازر في محارق الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي وكوارث أخرى لا تُعد ولا تُحصى».(١)

ولأن هوفمان لم يتطرق لتعريفات الحداثة ولا لتاريخها وإنما كانت كتاباته عن أثرها على حياة الغرب بحاضره ومستقبله، فقد تَطلَّب هذا بعض الإضافات العلمية هنا من غير ما كتبه هوفمان؛ لتأكيد مدى ما ذهب إليه في كتاباته وكتبه عن الحداثة أو عن مآلاتها على الغرب ذاته، وما توصَّل إليه من نتائج حول عوامل وأسباب أفول الغرب تحديداً.

وتتعزز النتائج بما يُسندها من بعض الأقوال والرؤى الأخرى إضافةً إلى ما ورد من اقتباسات في هذا الكتاب حول

(١) انظر: مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٩٥-٩٦، وللمزيد من النصوص انظر عن اقتباسات كثيرة حول نقد الحداثة لهوفمان في الفصل الأول (المجموعة الخامسة).

الحداثة، مما يكشـــف عن معرفة أكثر عن أسباب ودوافع ظهور الحداثة بالغرب، وشـــيء من تشخيصها ومخرجاتها، وذلك من خلال بعض المصادر من أنصار الحداثة وناقديها على السواء.

ومما ورد عن مفاهيمهـــا المكتوبة عند أنصارها قول أحد الباحثـــين عنها: «يحتل مفهوم الحداثة "Modernity Quote" في الفكر المعاصر مكاناً بارزاً، فهو يُشير بوجه عام إلى سيرورة [أي مســـار] الأشياء بعد أن كان يشـــير إلى جوهرها، ويفرض صورة جديدة للإنســـان والعقل والهوية، تتناقض جذرياً مع ما كان سائداً في القرون الوسطى.

وبالرغم من أهمية هذا المفهوم وشيوعه في الفكر المعاصر، إلا أنه أكثر التباساً وتعقيداً؛ لما ينطوي عليه من غموض، وارتباطه بحقول معرفية عديدة واستخدامه في مجالات مختلفة، وتوازي معنـــاه مع مســـيرة الحضـــارة الغربية الحديثـــة، التي أفرزت إشـــكاليات رافقت الحداثة وما بعدها... والحداثة هي نقيض القديم والتقليدي. فهي ليست مذهباً سياسياً أو تربوياً أو نظاماً ثقافياً واجتماعياً فحسب، بل هي حركة نهوض وتطوير وإبداع، وهدفها تغييـــر أنماط التفكير والعمل والســـلوك. وهي حركة تنويرية عقلانية مســـتمرة، هدفها تبديـــل النظرة الجامدة إلى

الأشياء والكون والحياة إلى نظرة أكثر تفاؤلاً وحيوية».[١]

ويُعرِّف الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط) الحداثة في سياق إجابته عن سؤال: ما الأنوار؟ فيقول: ««الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره». وباعتبار أن (كانط) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد «في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية.... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المُقدَّس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل». والحداثة عند(تورين) باختصار كما يقول في كتابه نقد الحداثة «تَستَبدلُ فكرة الله بفكرة العلم، وتَقْصِرُ الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد»».[٢]

«ويُعرِّف (رولان بارت) الحداثة بأنها «انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه». ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلا: «إن الحداثة هَدْمٌ تقدمي

---

(١) انظر: إبراهيم الحيدري، ما هي الحداثة؟، موقع إيلاف، بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٩م، الرابط التالي:
https://elaph.com/Web/ElaphWriter/2009/5/444829.html،
نقلاً عن: (Habermas, Jurgen, Der Philosophische Diskurs der Moderne, Frankfurt, 1991)

(٢) انظر: علي وطفة، بحث بعنوان: (مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة)، مجلة فكر ونقد، عدد (٣٤)، ص٢، ١٦.

لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تُعيد صياغة الشكل فقط، بل تأخذ الفن إلى ظُلمات الفوضى واليأس»».[1]

وهذه التعريفات وغيرها كثير جاءت من بعض ما ورد على ألسنة أهل الحداثة من الغربيين أنفسهم أو من أنصارهم، ومن أتباعهم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم.

ومما يُعزِّز هذه الأقوال الغربية عن حقيقة الحداثة ويسهم في إيضاحها أكثر أقوال بعض الباحثين من المسلمين حول مفاهيمها ودلالاتها ومآلاتها، ومن ذلك:

❊ أن الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط كما يتصور البعض. إنما هي نظرية وفلسفة وأيديولوجية تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية اجتماعية كانت أم معرفية أم صناعية أم سياسية أم غيرها. وبالتالي فالحداثيون يُقدِّمون تصوراً هدَّاماً لحياة الناس يتصادم مع الهدف من وجود هذا الإنسان والكون والحياة، وهذا التصور الحداثي الغربي اقتحم جميع مناحي الحياة.

❊ أن الأساس الذي تقوم عليه فكرة الحداثة هو العقل والعقلانية التي تُهدِر معها كل ما لا يدركه العقل. فالعقل المتحرر

(١) انظر: عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة، ط١، الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص٣٥.

من كل سلطان هو معيار أهل الحداثة، بل هو السلطان الحاكم على الأشياء.

❊ الحداثة مُعَاكَسَةٌ مع الماضي وانقطاع عنه. فهي انفصال للحديث عن القديم، بل هي ثورة على كل قديم مقدس أو غير مقدس.

❊ أنها الحرية المطلقة التي لا يقف في طريقها ضابط، ولا يحكمها شيء.

❊ أن الحداثة لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حراً طليقاً دون وصاية عليه من أي جهة.

❊ الحداثة فكرة ضد الله والغيب. وفي ذات الوقت لا تتحقق إلا بعزل الدين عن شئون الحياة، وقصره على الشئون الخاصة بكل فرد.[1]

وأقول معلقاً على ما سبق لقد ظللتُ فترةً من الزمن أقرأ محاولاً معرفة سِرَّ إعجاب بعض المثقفين وأشباههم من المسلمين بالحداثة الغربية وتباهيهم بالمصطلح ومحاولة إسقاطه على الدين الإسلامي وتراثه وثقافته، فأدركت بقناعةٍ علمية أن كثيراً منهم يجهل هذا المصطلح وظروف نشوئه ومآلات الأخذ به. وربما أن هذا البعض يُردد هذا المصطلح دون وعي بحقيقته،

(١) انظر: أحمد محمد زايد، مقال بعنوان: (ما الحداثة؟)، صيد الفوائد، الرابط التالي: http://www.saaid.net/mktarat/almani/70.htm

بل عجبتُ كثيراً من نسيانهم وجهلهم، أو تناسيهم وتجاهلهم لمصطلحات التجديد والاجتهاد في الدين الإسلامي، وما فيهما من غُنية عن كلمة الحداثة، عدا عن مدلولاتها ومفاهيمها الغربية المرتبطة بكل ما يتعارض مع الحقيقة واليقين في الإسلام!

وأرى أنه إذا جاز للمسلمين استخدام هذا المصطلح في جانبه اللغوي المجرد من أيديولوجيته المنحرفة، فإن على هؤلاء أن يعوا حقيقة أن الدين الإسلامي بعقيدته وتشريعاته وقيمه هو في حقيقته أصلاً تحديث وتجديد وإصلاح لمسار الديانات اليهودية والنصرانية اللتين ضلتا الطريق، وكفى بإيضاح القرآن عن هذا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة:٦-٧).

وربما يكون الاستغناء عن المصطلح بمفاهيمه المستوردة أن تكون الحداثة والتحديث في الإسلام بإحياء الاجتهاد الشرعي الفقهي للمسائل الشرعية كما يرى البعض، وقد دعا لهذا هوفمان من خلال جهود علماء يمتلكون أدوات التجديد والاجتهاد. كما يمكن أن تكون هذه الحداثة عند القبول اللفظي للمصطلح منهج تجديد وتحديث صحيح وسليم للمسلم. لكن لا يمكن لحداثة مُستَورَدة متصفة بالصفات سابقة الذكر أن تضاهيَ أو تعلوَ على دين الإسلام، وما فيه من الإيمان واليقين بحقيقة الحياة الدنيا والآخرة، وما في هذا الدين من الثواب والعقاب الأخروي الرادع

عن الظلم والعدوان على البشرية، وبما في هذا الإيمان بالثواب والعقاب مما يُصلح حياة البشـــرية ويهديها إلى مقاصد الحياة وغاياتها! بكل وسائل التجديد والتحديث المشروعة.

يقول هوفمان عن جذور أزمة الحداثة ومأساة التنوير وعن البديل المنافس: «إن جذور الأزمة الأخلاقية الحالية في الغرب تعود إلى ٢٥٠ عاماً مضت. فإن عملية الشـــفاء منها تبدأ بنقد جذري لعقلانية الحداثة، ومـــا خَلَقَته من دين بديل. فلن يكون هناك أمل في الشـــفاء إلا إذا نجحنا في تحرير الغرب من وهم الحداثة التي تحكمه؛ لأننا في هذه الحالة فقط ننجح في وقف عملية التســـميم الذاتي العقلاني، التي يُمارسها الغرب ليتمكن من إعادة صلته بالغيبيات، وأن يستعيد المقدس والإلهي مكانته في دائرة اهتمامه، ويكون هـــذا أمام عينية. إذاً فالأمر يتطلب إعادة الاعتبار للدين كرد فعل عقلاني على حاجة الإنسانية التي لا بـــد أن تبدأ بوضع العلوم التطبيقية في مكانها، وليس كبديل عن الدين».[(١)]

ويؤكـــد هوفمان أن الإســـلام بديل حضـــاري والاجتهاد الشرعي فيه بديل عن أوهام الحداثة، وعن هذا قال: «إنني أثق في قدرة الإســـلام على النجاح في أن يَستبدِل بالنموذج القائم

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ص٢٨٦، ٢٨٧.

نموذجه القادر على تجاوز فشل الحداثة، وذلك بالرغم من القصور بين أتباعه».[1]

ويكرر المفكر هوفمان القول حول الحداثة وأوهامها، والتنوير ومأساته كما هي تعبيراته في كثيرٍ من كُتبه ودراساته: أن التحديث الحقيقي بالنسبة للمسلمين إنما يكون بتعزيز الاجتهاد الشرعي فهو البديل المنافس، حيث الإيمان بالعلم دون تعارض خلافاً للغرب مع دينه المحرَّف، وحيث عدم التناقض بين الإيمان والعلم، كما هي الحالة الغربية مع كنائسها ودينها النصراني. وهي الحالة التي قادت الغرب إلى ما يُسمى حركة التنوير والحداثة خروجاً من جمود ديانتهم واستبدال رجال دينهم، وهذه الحالة في الغرب هي التي انتهت به إلى الشك والإلحاد والتنقل باضطراب وقلق بين المذاهب الفكرية والنظريات الفلسفية! وكفى أن الحداثة في الغرب ترتبط بتقديس العقل ونبذ الدين والموروث، وربما السخرية من النصوص أياً كانت.

ويرى بعض الباحثين من المسلمين كما يرى هوفمان أن البديل المنافس لمصطلح الحداثة هو الاجتهاد الشرعي في الإسلام. والاجتهاد هو المصطلح الذي يُعبِّر عن احتياج المسلمين في جميع عصورهم. ولهذا فالحداثة ومفهومها من منظور إسلامي واعٍ -عند القبول بهذا المصطلح اللفظي فقط-

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٨٧.

هي اعتبار الإسلام دين التجديد والاجتهاد الدائم. وبالتالي فالإسلام في حقيقته ثورة على الجمود والتقليد والخرافات والأساطير في الأديان المحرَّفة والأفكار المنحرفة، بل إنه دين إنقاذ وإصلاح لمسار البشرية من أساطير النصرانية وخرافاتها، ومن تحريف اليهودية وضلالها ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ (الفاتحة:٧). وكفى بهذا الإصلاح الديني بالإسلام حداثةً وتطوراً وتقدماً. وعن هذا الاجتهاد في تشريعات الإسلام كَتَبَ أحد الباحثين، ومما قال: «الإسلام عن طريق الاجتهاد هو أكبر دين حداثي؛ لأنه يُعطي الفرع شرعية الأصل، ويعترف بالزمان والمكان وبالتطور، وإن إجماع كل عصر غير مُلزم للعصر القادم.. لدينا الاجتهاد وهو اللفظ الذي أُفضِّله، ولا أُفضِّل لفظ الحداثة، فحداثتي من الداخل».[(١)]

ولهذا فإنني أرى أنه لا يمكن لحداثةٍ تسعى لنفي الغيب والتحرر من الإيمان وَرِقِّه -كما يرون- وتعمل على إطلاق حرية التحقق والاختيار الإنساني مع غياب اليقين، أنها مع هذه الحالة سوف تتعاطى بفهم صحيح مع حقيقة الإنسان وحقيقة

(١) انظر: زكي الميلاد، بحث بعنوان: (الاجتهاد وبناء المعاصرة في الفكر الإسلامي)، بتاريخ ١٤ يناير ٢٠١٩م، الرابط التالي: https://bit.ly/3gfJGXk، (الخطاب الإسلامي المعاصر، محاورات فكرية، إعداد وحوار: وحيد تاجا، حلب: فصلت للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م، ص٦٢).

الحياة ومآلاتها والكون ووظائفه والهدف من الوجود، وإذا كانت حداثة الغرب وانقلابهم على دينهم بسبب ما طرأ على دينهم من التحريف، وما فيه من تصادمٍ مع العلم والمعرفة والعدالة! فإن الأمر مختلف كل الاختلاف معَ الإسلام الذي يدعو للعلم والمعرفة وتحقيق العدالة.

وأرى كذلك أن التجديد في الإسلام الذي ورد في الأحاديث النبوية من لوازمه الاجتهاد الشرعي وأن حركات التجديد والمجددين عبر عصور التاريخ الإسلامي وما فيها من إحياء للاجتهاد الفقهي تَفُوقُ مفاهيم الحداثة الغربية في فاعليتها المنضبطة بضوابط الشريعة، بل ومحركاتها القوية من الحث على العلم والمعرفة والاحتساب بمفاهيمه الواسعة، فهو دين يُحدِّث نفسه بنفسه من خلال تشريعاته، ومن ذلك ما ورد من قول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1] والتجديد يكون بالأفراد وبالجماعات العلمية والدعوية والحركات الإصلاحية الشرعية.

ولهذه الأدلة والدلالات والمفاهيم يتأكد على دعاة الحداثة والليبرالية الجانحة من العرب والمسلمين أن يتعمقوا في دراسة وفهم الحداثة الغربية. فربما أنهم لم يقرأوا عنها ما يكفي!

(١) رواه أبي داوود في سننه، حديث رقم (٤٢٩١)، ورواه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم (١٨٧٤).

أولم يفهموها كما ينبغـــي! ليأتي بعد ذلك تحرير المصطلح عن حداثة الغرب. فاســـتيراد مصطلح الحداثة لدين سماوي حق، ووحي حق يتوافق مع العلم الصحيح والعقل الســـليم يُعدُّ ضرباً مـــن العبث. ولا يمكن لمؤمنين بالقـــرآن قبول الحداثة بصورتها وتاريخهـــا وهويتها الغربية، وما في قبولها من إلغاءٍ أو إضعافٍ لأصالة الفكر والثقافة الإسلامية. ولا يمكن قبول الحداثة لتكون سُلَّماً للتغريب الفكري والثقافي المُغلَّف بالتحديث والتنوير. وهي في حقيقتها ظلامية وحقد على الموروث، لا ســـيما أن الحداثة المُستوردة في غالب أحوالها لدى المُتبنين لها من المسلمين أو من المحسوبين على الإسلام تتسم بالتمرد على الدين وضوابطه من أرباب التطرف والغلو الليبرالي، القائم على الانفصام عن ثقافة أمة الإسلام الأساسية وعقيدتها وموروثها العلمي الصحيح.

- ثانياً: مزايدات الغرب المتعصب حول حضارته وأبرز قِيَمه:

الحديث في هذا الموضوع ليس قـــراءة نقدية لقيم الغرب وحضارتـــه المادية فهذا موضوع آخر كبيـــر، لكنه عرض لرؤية المفكر الألماني هوفمان رجل السياســـة والفكر حول أبرز القيم التـــي تتم حولها بعض المزايدات[1] بين الغرب والشـــرق، وهذه

(١) المقصـــود بالمزايدة هنا هي: التباهي بامتلاك مـــا ليس عند الآخرين من الفضائـــل والمزايا زعماً وظناً وتخرصاً لا تحققـــاً. ويمكن الرجوع للبحث العلمي لمراد هوفمان حول هذه المزايدات الغربية.

القـــراءة لا تعدو أن تكون نتائج في قراءة أبرز كُتُبه ومقالاته في هذا الكتاب، بعيداً عن التحليل أو الردود والاســـتدراك سوى ما ذكره هوفمان نفســـه عن منافسة الإســـلام بعقيدته وتشريعاته حول هذه القيم بمقارنات تســـتوجب النظر والتأمل. ومن أبرز هذه القيم ما يتعلق بالحقوق عامة والديمقراطية بصورةٍ خاصة.

وهوفمان بمنهجيته النقدية لحضارة الغرب غالباً ما يضيف بعض المقارنات التي ربما أنه يَعدُّها وسيلة مثلى لمعرفة أكثر عن الحقيقة بين حضارة الغرب المادية المعاصرة وما فيها من الشرك وتقديس العقل، وبين ما يمتلكه الإسلام من عقيدة التوحيد وما فيه من علاقة مُثلى بين المادة والروح وبين الإيمان والعقل.

وليس الموضوع هنا عن هذه الفروقات الكبيرة بقدر ما هو عن قضايا محدَّدة هي موضع مزايدات الغرب المتعصب بســـبب أن الإســـلام والغرب حضارتان متنافســـتان في معركة البقاء والسيادة وتقديم الأفضل للبشرية، بل في أصول وفروع فكرية. فالغرب المتعصب -وليس المتســـامح- يتطاول بكبرياء واستعلاء مُشَـــاهد على عموم المجتمعات العالمية، وعلى المسلمين خاصة بواقعهم المتخلف الذي لا يمثل حضارة الإســـلام وتشريعاته. بل إن الغرب يَضَع عموم المســـلمين في موقف دفاعي منهزم حول المواضيع الثلاثة المتكررة بالطرح، وهي: (موضوع حقوق الإنسان بشكل عام، وحقوق المرأة بشكل خاص، وموضوع الديمقراطية).

والغرب بهذه المزايدات على شيء كثير من الصواب مقارنةً بواقع معظم دول العرب والمسلمين، لكنه غير مصيب بحق الإسلام وتشريعاته الحقوقية حول هذه القضايا. وقد أَكثَرَ المفكر الألماني مراد هوفمان في طرح هذه الموضوعات في مجموعة من كتبه، بل إنه خصص ورقة علمية حول هذه القيم وما فيها من مزايدات، كما أنه عمل بالمقارنات مع تشريعات الإسلام حسب منهجيته حول هذه القيم الثلاث في الدين الإسلامي:[1]

١- حقوق الإنسان:

تنتاب كثيراً من المسلمين الدهشةُ والذهول أثناء أي حوار حول حقوق الإنسان، بأن شركاءهم الغربيين في الحوار يعتقدون بشكل جدي أنهم هم من أَوجَد حقوق الإنسان! أو أن لهم حق الملكية الفكرية الذي لا نزاع فيه! ثم بأن حقوق الإنسان لا تُحترم إلا في الغرب، ولا تحترم قط في العالم الإسلامي!

ويرى هوفمان في أكثر من واحد من أبحاثه[2] أن على المعنيين بالحوارات أن يُوجِّهوا للشركاء من الغربيين في أي

(١) انظر: مراد هوفمان، بحث علمي بعنوان: (مصطلح حقوق الإنسان غير معروف في الديانات الإبراهيمية)، ترجمة مصطفى السليمان، موقع قنطرة، بتاريخ ٢٠٠٣/٠٣/١٢م، الرابط التالي: https://ar.qantara.de/node/10427، تم النقل منه هنا بتصرف كبير وببعض الإضافات.

(٢) انظر على سبيل المثال: المرجع السابق.

حوار الأسئلة التالية حول الانتهاكات في هذا العصر تحديداً!: هل ثِمتَ خروقات لحقوق الإنسان كمَّاً ونوعاً أسوأ من الخرق الجماعي الرسمي لحقوق الإنسان في الحربين العالميتين في أوروبا، حيث استعملت الأسلحة الكيماوية والذرية! ناهيك عن الإرهاب الستاليني! وعمليات الإبادة الآلية لليهود والمعاقين عقلياً والمثليين والغجر وأصحاب الآراء السياسية الأخرى في الهولوكوست؟! ثم ماذا بعد وجود هيئة الأمم المتحدة وصدور الإعلان العالمي عن ميثاق حقوق الإنسان المعاصر! وتلازم هذا مع حالات التمييز العنصري وعمليات الإبادة العرقية في البوسنة وكوسوفو في عصر الحضارة؟! وهل قامت أي من هذه الجرائم والبشاعات خارج إطار المدنية الغربية ودولها وحضارتها؟ أو هل مثل هذه الانتهاكات الكبرى تمَّت بهذا الحجم من العدوانية وعدم التسامح في أي بلد في المنطقة الإسلامية؟

بالرغم من أن الإجابة الصادقة عن هذه الأسئلة يجب أن تكون بالنفي، يلاحظ المرء بأن الشركاء الغربيين في الحوار يتبجحون تكابراً - بل ويُعاقِبون في حال تطلب الأمر ذلك بقطع مساعدات التنمية - ويُطالِبون العالم بالأخذ بمفهومهم الخاص (الأوروبي الأمريكي) لحقوق الإنسان. وهكذا تم ويتم استغلال مسألة حقوق الإنسان وتسييسها كهراوة للتهديد مرفوعة للضغط على الآخرين أحياناً، وابتزازهم في أحيان أخرى!

ويؤكد هوفمان ويُكرِّر أن الغرب سواءً كان الأمر يتعلق بالاتحاد السوفيتي المندثر، أو في الولايات المتحدة بات واضحاً في كل الأحوال بأن قائمة حقوق الإنسان لم تكن في غالب الأحيان أكثر من قطعة ورق. وما على المرء سوى سؤال السود في أمريكا أو الهنود الحمر الأمريكيين لمعرفة الأمر! وعلى كل الأحوال فلا جدل في أن البشرية لم تتمكن حتى هذه اللحظة قط من إيجاد «نظام قانون طبيعي» ناتج فقط عن العمل الفكري المجرد صالحٍ للجميع، ومعترفٍ به من قبل الجميع، والكل يشعر بأنه مُلتزم به.[1]

وهوفمان يرى أن الحقيقة الأكثر وضوحاً عن هذه الحقوق في معظم البلدان الغربية أنها غير مَصُونَة بالغرب ذاته بشكل صحيح. فهي في الغالب أوراق على أوراق تتكدس. وكفى بها أنها جهد بشري غائب عنها الوحي الإلهي، ثم كفى بها عيباً وقدحاً أن كل مواثيق حقوق الإنسان لم تتطرق لله الخالق، الذي مَنح هذه الحقوق وشرَّع لها بعدالة سماوية! وكفى بها أن الفهم الصحيح للإسلام عند أي مسلم مؤمن أو منصف غير مسلم

(١) هذه العبارات من هوفمان تحتاج إلى تأمل وقراءة في النص الأجنبي الأصلي لمعرفة المقصود بها، حيث النظام الإسلامي بعمومه وشموله يغطي جميع حقوق الإنسان، بل وكرامته، وانظر عن هذه الرؤية السابقة لهوفمان، المرجع السابق.

يعترف بأن الإســـلام قائم في الأســـاس على أنه نظام متكامل وشامل لكل حقوق الإنسان في الحياة!

وأقول إن عدم التطبيق عند المسلمين أو دولهم وحكوماتهم في عصورهم المتأخرة لا يعني مطلقاً أن الإسلام مُتَّهم بالقصور، بقدر ما هو قصور المســـلمين وإخفاقهم بعـــدم صياغة قانونية للحقوق عامة. ومن أبرزها وأهمها توضيح حقوق الله على عباده التي فيها ضمانات الســـماحة وعدم العدوانية على الآخرين من البشـــر. وفيها الضوابط الغيبية للســـلوك من تقوى الله وطلب الثواب والخوف من العقاب، وكذلك إبراز ضمانات تحقيق حقوق الإنسان والمرأة، وحقوق أهل الذمة والأقليات، وحقوق الحريات، وحق الحياة والرزق، وحقوق الفقـــراء، والحقوق الزوجية وذوي الأرحام، وغيرها من الحقوق. والقائمة تطول ولا تنتهي منذ أكثر من ١٤٠٠ عام عن النصوص الحقوقية في القرآن والسنة!

ولا مجال للمزايدة مع الإسلام في ميادين التشريعات وما يمتلكه الإســـلام من رصيد حقوقي لا يقارن مع غيره بشـــموله وكماله وما فيه من جوانب الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي. ولهذا فإن الاستراتيجية المثلى للمسلمين تتطلب العمل والبحث الجاد في اســـتنباط وتنظيم قيم حقوق الإنســـان، ضمن المنهج الإســـلامي كأنظمة وتشريعات تُقدَّم للبشرية، وذلك من القرآن والسنة.

٢- حقوق المرأة:

عن هذا الموضوع كتب هوفمان الكثير، ومما قال: «إن الأسرة في الغرب منهارة، وإن هناك مؤسسة الخدم والخليلات، وإن معدل الطلاق عالٍ، وإن هناك استغلالاً تجارياً للمرأة جنسياً. نعم عند دخول الألف الثالثة وُلد في السويد ٥٥٪ من الأطفال خارج نطاق الزوجية، و٤٠٪ في فرنسا، و٣٨٪ في بريطانيا العظمى، مع كل ما ينجم عن ذلك من شقاء وبؤس للأم والطفل. نعم! العنف ضد المرأة في الزيجات الغربية، إذْ وثَّق هذه الحقيقة فيلم إسباني حديث بالإحصائيات المحيطة (Te doy mis ojos "أمنحك عيني"، نوفمبر ٢٠٠٣م). نعم، لم تصل المرأة في الغرب كله إلى المساواة مع الرجل (بالمقارنة مع القانون) في ميادين السياسة والأعمال والعلوم. ولكن ينبغي ألا يتخذ المسلمون ذلك مثلاً يُحتذى ويتذرعون به، بل ينبغي أن يُرى الإسلام بأنه الدين الوحيد الذي يُعزِّز طاقات المرأة وإمكاناتها».[(١)]

ولهذا فإن شعار الحقوق للمرأة لدى الحضارة الغربية يُبرِز تساؤلات عديدة تطرحها الساحة الثقافية حتى عند عقلاء الغرب. ومنها هل يُعدُّ جسد المرأة سلعة تُباع وتُشترى في الدعاية والإعلان؟ وهل هذا حقٌّ من حقوقها مثلاً؟ وهل هذا مما يُعدُّ

(١) انظر: مراد هوفمان، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٥١-١٥٢، والإحصاءات الواردة تُعدُّ قديمة!

حقوقاً مُثلى وكرامة للمـــرأة؟ وهل عمل المرأة بالصورة المُبتذلة المعمـــول بها في الغرب تكريم للمـــرأة؟ أم إهانة لها؟ وهل هذا العمل الوظيفي خارج المنزل مما يُحقق للمرأة حقوقها الأساسية وكرامتها في الزواج والإنجاب المشروع؟ ثم أليس هذا الحق في العمل يأتي على حســـاب حق أكبر للمـــرأة والطفل في الكرامة والتربية والرعاية والعناية؟ تســـاؤلات عديـــدة وكثيرة ومتنوعة مفادها ونتيجتها المنطقية بمجملهـــا القول: متى؟ وكيف يمكن تأســـيس منظمات وجمعيات إسلامية بالغرب وفي داخل البلاد العربية والإسلامية تكون معنية بتنظيم وتقنين وإعلان التشريعات والمبادئ والقيم الإسلامية المعنية بحقوق المرأة وكرامتها لإنقاذها مـــن الانتهاكات؟ بل وأكثر من هذا، حيث أهمية تصدير مفاهيم هذه الحقوق والتسويق لها والنداء بالصوت العالي بغرض تحرير المرأة الغربية من صور الاستغلال والاحتقار والإهانة التي لحقت بها من قِيم الحضارة الغربية المادية، ومن انحراف البوصلة تجاه حقوق المرأة الحقيقية وكرامتها!

ومن مفاهيم حقوق المرأة التي تســـتوجب التصدير للغرب ثقافة وجوب قوامة الرجل ومســـؤوليته المالية بالنفقة والرعاية، حمايةً للمرأة وتحقيقاً لكرامتها بنتاً وزوجةً وأمَّاً وجدَّة وأختاً.

ومما يُعــزِّز ويؤكد مــا كتبه هوفمان فــي الفصل الثاني من هــذا الكتاب حول حضــارة الغرب وما فيهــا من انتهاك لحقوق المرأة مــا كَتَبَته الباحثة والمؤرخة الألمانية **ميريـام جيبهارت** Miriam Gebhardt عن بعض التاريخ الأسود المعاصر للغرب في تعاطيه مع المرأة وحقوقها، وذلك بقولها: «بعد هزيمة ألمانيا في الحــرب العالمية الثانية اغتصب (الحلفــاء) حوالي مليوني امرأة ألمانية، وتناثرت جثث كثير منهنّ في الشــوارع! ولم يتردد جنــود الحلفــاء المنتصرين لحظة واحدة في إعــدام أي امرأة كانت ترفض الرضــوخ لمطالبهم! وقبلــت ألمانيا حتى منتصف الخمسينيات بتســجيل (٣٧) ألف طفل باسم أمهاتهم! كما أن الروسَ اغتصبــوا (١٥) ألف امرأة! والأمريــكانَ (١٩٠) ألفاً! والبريطانيين (٤٥) ألفاً! والفرنســيين (٥٠) ألفاً! والبلجيكيين (١٠) ألاف امرأة! وما فعله الصرب والكروات في نساء البوسنة والهرسك من حالات الاغتصاب الجماعي في تسعينيات القرن العشرين على مرأى ومسمع من كل العالم الذي يسمى متحضراً [شاهد معاصر] ديمقراطياً!».[(١)]

(١) انظر: ميريام جيبهارت، عندما جاء الجنود: اغتصاب النساء الألمانيات في نهاية الحرب العالمية الثانية (Als die Soldaten kamen: Die Vergewaltigung deutscher Frauen am Ende des Zweiten Weltkriegs)، ط١، ميونيخ: Deutsche Verlags-Anstalt (DVA)، ٢٠١٥م، ص٢١. =

والتســـاؤلات التي تطرحها قضية المزايدات الغربية حول حقوق المرأة والطفل كما يرى هوفمان واضحة من خلال كتاباته، وفـــي الفصل الثاني نصوص مختارة عن هـــذا، كما أن كتابات الآخرين مما يُعزِّز كذلك رؤيـــة هوفمان حول الانتهاك الصارخ لحقوق المرأة والطفل والأســـرة! ومثال واحد صارخ من أمريكا عن مزاعم هذه الحقوق يكشـــفه برنامـــج تلفزيوني تتقزز منه الإنســـانية! وتشمئز منه الفطرة الإنسانية السليمة، وهو بعنوان (أنت لست الأب) وهو من أشهر البرامج في التلفزيون الأمريكي ويُعـــرض على قناة NBC منذ عـــام ١٩٩١م. وهو مُكوَّنٌ من ١٩ موســـماً، ووصل عام ٢٠٢٠م إلـــى ٣٥٠٠ حلقة. وفي كُلِّ حلقةٍ يتم عرض ثـــلاث أو خمس حالاتٍ من الأزواج على الأقل. وفيه يتم جمع الأزواج وزوجاتهم مصحوبين أحياناً بنتائج علم الوراثة المعاصر مع أولادهم أمام الجميع؛ لِيثْبُت في معظم الحالات أن الأولاد غير شرعيين ولا ينتسبون لآبائهم. ومن ذلك أنه يتم في

= وتذكر بعـــض الاحصائيات أن الصرب اغتصبوا بـــين (١٢,٠٠٠) إلى (٥٠,٠٠٠) امرأة بوســـنية. وكان هذا الاغتصاب ممنهجاً بغرض الإساءة والانتهاك لحقوق المســـلمين والمســـلمات. انظر عن: لجنة الأمم المتحدة البوسنة والهرسك الاعتراف بحقوق ضحايا العنف الجنسي، موقع (الأمم المتحدة حقوق الإنسان)، الرابط التالي:
https://www.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?LangID=E&NewsID=26171

كل برنامج أن تقوم امرأة من محترفات الفاحشة بدعوة عددٍ من الرِجال إلى البرنامج، ممن أقامت معهم الفاحشة بعلاقةٍ جنسيَّةٍ محرمة، هكذا أمام النـــاس، ودون أدنى ذرةٍ من حياء أو خجل؛ وذلـــك ليخضعوا لفحص الحِمض الوراثي DNA. والغرض منه هو لكي تعرف هي من هو والد طِفلها أو طِفلتها.[1]

فأيـــن حقوق المرأة وكرامتها؟! بل أين حقوق الطفل؟! وأين حقوق الرجل الإنسان والأسرة التي يتشدق بها الغرب؟!! أليس حق الأبوَّة مفقوداً بهذا الواقع، وهو أساس كل الحقوق في الحياة الإنســـانية! والسخرية أن مرتكبي هذه الجرائم والجنايات بحق الإنســـان هم من يُحاضِرون بدروسهم وإعلامهم على المسلمين اليوم بحقوق الإنســـان! وحقوق المـــرأة! وحقوق الطفل! بل وأن الإســـلام ظَلَم المرأة ولم يُعط الزوجة حقوقها! أليست هذه هي المزايدة حقاً؟! ومن هنا يجب التأكيد على أن مبدأ تشريع حقوق المرأة في الإســـلام يؤكد على تحقيق العدالة لها، وهو أهم حق في مساواة التكامل، فالكرامة الإنسانية في الإسلام حقٌّ للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، ومساواة التكامل في الوظائف والواجبات بينهما حقٌّ آخر كذلك.

(١) انظـــر: صحيفة المدينـــة الإخبارية، مقـــال بعنوان: (اقرأ عن الســـقوط الأخلاقي في الغرب)، بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٢٠م، الرابط التالي: https://bit.ly/3hs5n7J.

ويـــرى هوفمان -كمـــا هو غيره- أن الأحكام الإســـلامية المتعلقـــة بالمرأة تَعتَبِـــر الاختلاف في ترتيب المســـاواة منطقياً ومُبرَّراً، حيث الاختلاف البيولوجي بين الجنسين وعدم المساواة الجسدية أمرٌ يَحسِمُ مفاهيم مســـاواة التماثل ليكشف حقيقة الثقافـــة الغربية وإهانتها للمرأة، بـــل إن هذا الاختلاف هو ما يفرض تشـــريع القوامة في الإســـلام تكريماً للمرأة. فالقوامة تعني المســـؤولية الأسرية والكفالة والحماية وحقوقاً أكثر للمرأة على الرجل مما تحتاجها المرأة فـــي أي مجتمع كان. ويتجاهل ميثاق حقوق الإنسان الغربي هذه المفاهيم والاختلاف الفطري البيولوجي! وذلك عن قصد لمصلحة مســـاواة خيالية يتم الدفاع عنها بمكابرة ثم بمزايدة!

كما أن ممـــا تعنيه قوامة الرجل على المرأة في الإســـلام هو تقدير الاختلاف الفطري حول إمكانيات الرجال البدنية أو المالية، التي هي غالباً عند الرجال أكبر منها لدى النســـاء، مما يَصُـــب في حق المرأة ووجوب النفقـــة عليها ورعايتها وحمايتها بكرامـــة حقوقيـــة مُثْلَى. ويـــرى هوفمان وغيره مـــن المؤمنين والمنصفين أن تشريعات الإسلام تُلبي كل حقوق المرأة الأساسية! بل كرامتها فوق ذلك! -إن هم أرادوا فهم ذلك أو العمل به-.

وممـــا يراه هوفمان أن تعدد الزوجات يُعدُّ حقاً للمرأة على المجتمع -مثلاً- ففي هذا تلبيـــة لحقوق المرأة ذاتها في الزواج

النظيف، وحقوقها في الإنجاب المشروع، وما في هذا من حماية لحقوق الطفل بالأسـرة والأبوَّة. وهذا التعدد المشـروع هو حق وتكريم للمرأة أكثر من كونه حقاً للرجل. وهو حق تفرضه أحياناً الديمغرافيا السـكانية؛ بسبب زيادة أعداد النساء على الرجال ليُقدِّم الإسلام الحل النظيف للمرأة وأطفالها! ولتنتهي المزايدة أو لتتكشـف حول هذا الجانب، فإن حالات التعدد في الإسلام أقل بكثير من حالات الخيانة الزوجية مع العشيقات في الغرب! كما يقول هوفمان ويقرِّره وهو الخبير بالغرب، وذلك في مواضع كثيرة من كتبه ومقالاته![1]

ولهذا يعتقد كل مسـلم أن القرآن سـبق في تشـخيص حقيقة الغرب النصراني المتعصب ومزايداته ومن سار في ركابه ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ (النسـاء:٨٩). ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ (النساء:٢٧).

٣- الديمقراطية:

الديمقراطيـة الغربية تُعدُّ من أنجح التجارب البشـرية المعاصرة في تحقيق شـيء كثير من العدالة في الغرب، خاصةً مـا بعد الحرب العالمية (الأوروبية) الثانية، حينما حققت لدول

(١) انظر: مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، ص١٣٥.

أوروبا وأمريكا الاستقرار السياسي وحق الانتخاب وحقوق الإنسان داخل المنظومة الغربية ويقيناً أنها -بالرغم من نقائصها- أفادتهم كثيراً في حياتهم السياسية، لكن تساؤلات عدة تطرحها بعض الأحداث السياسية، وكثير من الحوادث العسكرية العدوانية داخل الغرب نفسه وخارجه، وذلك عن مدى الالتزام بقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان خارج حدود هذه الدول تحديداً. ومنها ماذا يعني الصمت عن الاستبداد السياسي للحكومات في معظم دول العالم الإسلامي أو دعمه! رغم المآسي الإنسانية كما في العراق وسوريا وأفغانستان وفلسطين على سبيل المثال؟ وماذا تعني حقوق الإنسان الغربي القائمة على نهب ثروات ومقدرات الشعوب الأخرى وإفقارها وسلب حقوقها كما في دول أفريقيا كمثال؟ والقائمة من التساؤلات تطول وتزداد في وضوح المزايدات!

وعلى المستوى الداخلي ماذا تعني قيم الديمقراطية إذا كان يصحبها أعلى نسبة مساجين في العالم! ومن أعلى دول العالم في حالات المخدرات والخمور! وحجم اللقطاء من الأطفال غير الشرعيين تغص بهم دور الحضانة! كما هو الحال في أمريكا؟ فالديمقراطية السياسية الغربية بالرغم من نجاحها السياسي إلا أن إخفاقاتها الأخلاقية تُعدُّ مما يُهدِّد بقاءَها مع

أن عمرها الزمني قصير جـــداً، والحكم في الغالب يكون على المآلات والنهايات.

وحول الاســـتفادة من هذه الديمقراطية يكفي أنها ليست ملكية فكرية غربية، بل إنها في شِقِّها الإداري دون الأيديولوجي ممكنـــة التطبيق في المجتمعات الإســـلامية، حيث -في رأيي- لا يتعارض جانبها الإداري مع تشـــريعات الإســـلام في تحقيق العدالة، بل إن عدم احتكار الديمقراطية في الغرب أَنْجَحَهَا إلى حدود كبيرة أو إلى مدى معيَّن في بلاد أخرى مثل تركيا وماليزيا وأندونيســـيا وباكستان باختلاف في مستوى النزاهة والشفافية في التطبيقات بين الدول، فلا مجال للمزايدة في شـــيء يمكن امتلاكه أو العمل به من الجميع.

ثم إن النظم الديمقراطيـــة وقوانينها وحرياتها في الغرب تسقط بشـــكل مُريع كما هو مشـــاهد في الواقع عند أي خلل أمني أو اضطراب اجتماعي، أو مظاهرات أو حروب وصراعات داخل الدول الغربية ذاتهـــا! فيكف تعاطت مثلاً بعض الولايات الأمريكية مع أحداث شغب المظاهرات المناهضة للعنصرية عام ٢٠٢٠م. فالولاية التي يحكمها حاكم ديمقراطي -حسب التقارير والأخبار- يريد إســـقاط ترامب الجمهوري من خلال تســـاهل حاكم الولاية أو نوعية تعاطيه مع أحداث الشـــغب والمظاهرات، حتى لـــو احترقت مدن الولاية بالكامـــل نكاية بالحزب الحاكم

المنافس (الجمهوري)![1] فهل الديمقراطية الغربية وصلت إلى هذا المستوى من عدم الحس الوطني؟! وربما يتكرر التساؤل حول ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية من خدشٍ أو كسرٍ لهذه الديمقراطية حينما كان اقتحام مبنى الكونغرس بتاريخ ٦ يناير ٢٠٢١م من بعض المتظاهرين الجمهوريين بعد إعلان فوز الديمقراطيين، وهو ما يعكس شيئاً من حقيقة الديمقراطية أو هشاشتها في محضنها الأول.[2] وهذا ما يُعزِّز من بعض أقوال هوفمان ورؤيته حول أفول حضارة الغرب وقِيمه.

والأكثر من ذلك عن هذه المغالطات والمزايدات الغربية المكشوفة مع الإسلام هو سوء الفهم عن حقيقة العدالة في تشريعات الإسلام وأصول الحكم. وهو الاتهام الباطل القائل بعدم القدرة الجوهرية للإسلام وتشريعاته المثبتة تاريخياً عبر عصور الدول الإسلامية المتعاقبة! حول الاحترام لحقوق الإنسان وكرامته، وحول تطبيق معظم قيم العدالة بصورة فعلية في الحكم السياسي والعدلي والجنائي والقضائي! فالعدل

(١) انظر نموذجاً توثيقياً عن هذا الحدث: صحيفة الشرق الأوسط، بعنوان: (ترامب يدعو حكام الولايات إلى موقف أكثر صرامة حيال الاحتجاجات)، بتاريخ ١ يونيو ٢٠٢٠م، الرابط التالي:https://bit.ly/3btRsh5

(٢) انظر تفاصيل عن اقتحام الكونغرس: مقال (تعليق جلسة الكونغرس بعد اقتحام متظاهرين مؤيدين لترامب لمقره)، موقع DW الألماني، بتاريخ ٦ يناير ٢٠٢١م، الرابط التالي: https://bit.ly/3hTlMVH

في الإسلام وتشـــريعاته منافسٌ بشموله وكماله لما لدى الغرب والشـــرق، بل منافس لجميع أنواع العدالة البشرية في الأرض، كما أن حقائق التاريخ الإســـلامي دامغةٌ فـــي جوانب التطبيق عبر عموم العصور الإســـلامية، وفيهـــا كان وضع الحكم عدلياً إلى حدٍّ كبير باســـتثناءات يسيرة. وتمَّ هذا بالفعل في وقت كان الغرب في عصوره الوسطى (الظلامية) يعيش المَلَكيات والإقطاع والظلم بكل أشكاله وصوره! وفي زمن كان الاستبداد الديني فيه مُســـيطراً بكل فئاته وطوائفه على الشعوب الغربية! وقد تمتع المســـلمون ومن كان تحت حكمهم آنذاك مـــن الأقليات الدينية والعرقية بنظام عدلي وقضائـــي فريد من نوعه، كما دوّن ذلك منصفو الغرب ذاته.[1]

وحول القيم الشـــورية في الإســـلام أكَّد هوفمان أن الله سبحانه وتعالى حينما يطلب من المسلمين العفو والإصلاح عند فـــض خلافاتهم الصغيرة والكبيرة فإن العدل الإلهي غير غائب في مشروعية وجوب تحقيق العدالة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الشورى:٣٨-٤٠).[2]

(١) انظر على ســـبيل المثال الباحثة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها شـــمس الإسلام تسطع على الغرب.

(٢) انظر: مراد هوفمان، مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، ص١٤٨.

وحسب هوفمان: إن هذه الآيات وأمثالها يمكن الاستنباط منها مبدأ تشريعياً عاماً يتضمن الحق في الديمقراطية والمشاركة السياسية، ومشروعية رد العدوان والظلم. ثم ألم يكن الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل قد تم انتخابهم، دون أن يكونوا من ذوي قربى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فهل يمكن للمنصف استنتاج أن الدولة الإسلامية يمكن أن تكون جمهورية ديمقراطية؟ وليس بالضرورة اشتراكية أو مَلَكِية! والحق أن التعثر في المصطلحات لدى بعض المسلمين لن يكون عائقاً عن الاستفادة مما لدى الآخر، خاصةً أنه من الثابت أن الإسلام قد وضع أنموذجاً إسلامياً للحماية الشرعية القانونية للإنسان في الحكم، وحق الحياة السياسية، والحقوق الاجتماعية الأخرى بعدل وإنصاف.(١)

ولا شك عند أي مؤمن بالإسلام أن مثل هذه الأنظمة والتشريعات - التي شرعها الله لعباده والتزموا بها تجاهه من حيث المبدأ - أكثر فعالية ورسوخاً من تلك القوانين التي يُحدِّدها عَقْدٌ اجتماعي أو سياسي، ليس قائماً في الأصل على رقابة الله وتقواه، وهي الضابط الأقوى للعدالة والسلم بين البشرية.

(١) انظر: مراد هوفمان، بعنوان: (مصطلح حقوق الإنسان غير معروف في الديانات الإبراهيمية)، ترجمة مصطفى السليمان، موقع قنطرة، بتاريخ ٢٠٠٣/٠٣/١٢م، الرابط التالي: https://ar.qantara.de/node/10427

ولعل هذه النتائج السابقة تكشف شيئاً كثيراً من الحقيقة حول بعض المزايدات الغربية، وقديماً قال المثل: الحق أكبر من الشمس التي لا يمكن حجبها بغربال.

- ثالثاً: من مخرجات الحضارة الغربية: الأدمغة المُستعمَرة وخواء الذات:

لعل مما يُعدُّ من نتائج هذا البحث رؤية هوفمان وتشخيصه حول ظاهرة فتنة المغلوب بثقافة الغالب في العالم الإسلامي، وهو ما سمَّاها هوفمان «الأدمغة المُستَعْمَرة»، وقد تم اختيار مجموعة من النصوص المقتبسة مما نَقَله عن غيره أو كَتَبَه هوفمان في بعض كُتبه، وهو ما تم إيراده هنا، وذلك على منهجية الفصول الأربعة الأولى في هذا الكتاب بإيراد النصوص دون التعليق عليها، حيث يرى هوفمان أن خواء الذات لدى بعض المسلمين جاء من عدم الانفطام عند من يُسمَّون (خلفاء الاستعمار)، بقوله: «من الغريب أن تستمر المستعمرات «سابقاً» في الافتتان بالحداثة والاشتراكية الغربية، كما لو لم تكن كلٌّ منها قد فَقَدَت مصداقيتها في الغرب في كلٍّ من الحرب العالمية الأولى والثانية! لا يمكن تبرير ذلك إلا بوقوع كثير من العقول القائدة في آسيا وأفريقيا في أسر الافتتان بتعاليم أسيادهم السابقين، حتى أصبحوا غربيين أكثر من العديد من مفكري الغرب!... وفي الحقيقة "لم تَفْطِم معظم البلاد العربية والإسلامية نفسها من

سادتها المُستعمِرين" (ماهر رشدان)».[١]

كما يرى أن خواء الذات والسيطرة لهما تأثير كبير على عقول العلمانيين في العالم الثالث عموماً والعالم الإسلامي بصفةٍ خاصة، وذلك بقوله: «أقل ما يقال إن هؤلاء المفكرين العلمانيين في العالم الثالث، بما في ذلك البلاد العربية، عملوا لاستقلال بلادهم من داخل حدود الحضارة الغربية. وبهذا اكتملت الحلقة النهائية لاستعمار الأمة بمجرد استقلالها. عملية الاختراق تلك المسماة بالعولمة لا تتعلق باختراق حدود جغرافية، ولكن بـ«السيطرة على العقول» (ناديه مصطفى). بل حتى حركات الإصلاح والإحياء الإسلامية لم تستطع بشكل حاسم حتى الآن تغيير ذلك الوضع البائس».[٢]

وفي الوقت ذاته فإن هوفمان يرى أن دعم الغرب المتعصب للاستبداد في دول ما يُسمى العالم الثالث من خلفاء الاستعمار أبقى الاحتلال بصور أخرى وبوجه آخر أخطر من الاحتلال ذاته، حيث صنع أشخاصاً بخواءٍ وأدمغة غير حُرَّة، وذلك بقوله: «بالطبع عَمَلَت القوى المُستعمِرة بأقصى ما تستطيع لتوجيه التعليم بمسارات غربية في المستعمرات لتُربي قادة محليين

(١) انظر: مراد هوفمان، مقدمة كتاب خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ص١١-١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٢.

يخدمون مصالحها. أَفْرَخت الأنظمة الشيوعية طَبَقَة محلية موجهة ماركسيّاً. وأفرخت الأنظمة الغربية طَبَقَةً محلية موجهة غربيّاً. واستمرت الطبقتان في قيادة بلادهم -بعد التحرر- كما تَعلَّموا تماماً في موسكو وكمبردج والسوربون. ليس من الصعب رؤية حدوث ذلك. ولكن الأصعب رؤية استعمار الأدمغة يستمر لمدة خمسين عاماً أو أكثر، بعد إنهاء الاستعمار العسكري. لماذا لم يتعلم أولئك المثقفون (أوفي الحقيقة أشباه المثقفين) حتى من أخطائهم في تجاربهم الاشتراكية والحداثية، ناهيك عن علمهم من أخطاء مُستعمِريهم؟».[1]

ويتأسف هوفمان على ما وصل إليه بعض مثقفي العالم الإسلامي من خواء للذات وافتخار بعقائد مُزيَّفة، وعن هذا قال: «تَحوَّل هؤلاء المثقفون المسلمون - ببساطة - من عقيدة راسخة إلى عقيدة زائفة... أعتقد أن كثيراً من المثقفين العرب والمسلمين ما زالوا يَتَّبِعون -بتفاخر- اتجاهاً يعتبرونه تقدميّاً، ولكنه لا يُمثِّل الآن سوى هامش سُفْلي في صفحة تاريخ العلم».[2]

وهوفمان يُشخِّصُ هذا الواقع المؤلم له والمُتحسِّر منه شخصياً من خلال مقابلاته العلمية والحوارية في العالم العربي، ومما قاله عن هذا: «يُزعجني كثيراً أن أقابل أكاديميين

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٤.

فـــي قلب مدينـــة القاهرة في أيامنا هذه على ســـبيل المثال ما يزالون متعاطفين مع يوتوبيا الاشـــتراكية، بعد كل الفظائع التي ارتكبتها النظم التي حاولت تطبيق تلك الاشتراكية. تلك الفظائع التي يصعب تصويرهـــا بالكلمة. أحاول إقناع أولئك الناس بأن الشيوعية سقطت ليس بسبب خطأ التطبيق، ولكن لأنها قامت أساســـاً على مقدمـــات خاطئة. كان هذا واضحـــاً من البداية بالطبع لمن يريد أن يُبصِر».[١]

وحول تضرُّر الشعوب المســـلمة من خواء الذات السياسية وأثرها التغريبـــي في معظم البلاد الإســـلامية، قال هوفمان: «ضَاقَتْ وســـئِمَتْ الشـــعوب الإســـلامية التـــي غرَّبتها القوى الاســـتعمارية عن تقاليدها ودينها من حكوماتها التي غالت في إبعادها عن جوهر دينها، ربما مِثْل أو أكثر - في بعض الفترات وبعض الحالات- من حكومات الاستعمار. ولو لم تفرض حكومات الاستقلال الحلول المستوردة الفاشـــلة لما رفعت الشعوب شعار «الإســـلام هو الحل». ومن الناحية الأخـــرى لم تضع الحركات الإسلامية برامج فعَّالة، بل ولم تستطع حتى تأمين وجود قانوني لها في معظم البلاد الإسلامية».[٢]

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٢-١٣.

ويرى هوفمان بتميزٍ فكري فريد أن الإسلام بجوهره إصلاح للنصرانية، موضِّحاً مخاطر ما سمَّاها غربنة الإسلام، وعن هذا قال: «يتحمس بعض المسلمين الغربيين والعمال الشرقيين المهاجرين في سعيهم للفوز بقبول الغرب للإسلام، إلى درجة أنهم - بدلاً من «أسلمة» الغرب - يتسببون في «غربنة» الإسلام. وتكون المُحصِّلة النهائية لهذا الاتجاه «إسلام أوروبي»، أي دين فيه كثير من العناصر الأوروبية ونزر يسير من الإسلام. ويُروِّج لهذه الفكرة في الغالب ما يسمى بـ«المسلمين المثقفين»، أي أولئك المسلمين الذين لا يُصلُّون أو يَصومون أو يُؤدُّون فريضة الحج، ولكنهم يدَّعون أن قلوبهم عامرة بالإيمان بالله.. يشتكون عادةً من أن الإسلام لم يتمكن من إصلاح وتنوير نفسه أسوة بالنموذج الأوروبي، وأنه يتوجب على الإسلام اليوم أن يلحق بركب الحضارة، بإصلاح نفسه كما فعل جون كالفين "John Calvin"[(١)] ومارتن لوثر "Martin Luther"[(٢)] وأتباع العقلانية الحديثة،

(١) جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤م): كان عالم لاهوت وقس ومصلح فرنسي في جنيف خلال حركة الإصلاح البروتستانتي. وكان من المُسهمين الرئيسيين في تطوير المنظومة اللاهوتية المسيحية التي دُعيت فيما بعد بـ «الكالفينية»، والتي تتناول تعاليمها القدر والملكوت المطلق لله في تخليص روح الإنسان من الموت واللعنة الأبدية.

(٢) مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م): هو المجدد الألماني، الذي بدأ بجهوده لتجديد اللاهوت والنظام الكنسي بالإصلاح البروتستانتي.

ولكـــن على الرغم من أن الإســـلام قد مَرَّ مؤخـــراً في عصور مظلمـــة إلا أن هذا الاقتراح يُعدُّ مغالطة كبرى. فالإســـلام في جوهره إصلاح، وهو أول محاولة في التاريخ لإصلاح النصرانية بتصحيح نظرتها إلى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والثالوث المقدس والخلاص على الصليب والخطيئة الموروثة».[1]

وحول مخاطر وجود هذه الأدمغة المُســـتَعمَرة بين صفوف بعض المجتمعات المسلمة وتنازلات بعض مثقفيها، كَتَبَ هوفمان أن هـــذا الواقع للمثقفين من المســـلمين مما يُعدُّ من التشـــويه للإســـلام وفيه الضرر البالغ على المســـلمين السُّنة، ومما قال عن هذا الجانب: «ظاهرة المثقفين المسلمين، بمن فيهم العلويون الأتراك في الغرب، ظاهرة ضارة لسبب آخر. فالمسلمون بالاسم فقط يســـهل انقيادهم للحكومات الغربية. فهم لا يتوقفون عن العمـــل لأداء الصلاة، ولا يصومون. وهم يأكلون ويشـــربون أي شيء، ولا يرغبون في أداء فريضة الحج، ولا يريدون بناء المساجد أو الأذان للصـــلاة من مآذنهم. وهـــم لا يرغبون في الذبح على الطريقة الإسلامية، أو ارتداء ملابس إسلامية، أو دفن موتاهم على الطريقة الإســـلامية. راحة بال ما بعدها راحة! المشـــكلة هي أن أولئك المســـلمين السُّنَّة الذين يطالبون بكل هذه الأشياء أصبحوا يَظْهَـــرون اليوم بمظهر المتطرفين المتزمتين المتعصبين،

(١) انظر: مراد هوفمان، نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث، ص٨٥-٨٦.

إن لـــم يكن بمظهر الإرهابيين، ولا بد للحكومات الغربية من أن تسأل في يأسها (أفلا تتعقَّلون كأولئك المسلمين الآخرين؟)»![1]

❋❋❋

(١) انظر: المرجع السابق، ص٨٧-٨٨.

الخاتمة

نتائج وتوصيات ومشروعات

جـــاءت أهمية هذا الكتاب كمشـــروع علمي عن بعض رؤى مراد هوفمـــان المتعلقة بالغـــرب المتعصب تحديـــداً، وعلاقته بالإســـلام الصاعد والمنتصر عقدياً وثقافياً. وهي قضية رئيسة تَشْغَل الرأي العام الإسلامي والغربي في وقتٍ واحد، لا سيما أن العقلاء من الطرفين الغربي والإسلامي يرون العمل بما يجب أن يحكم هذه العلاقة من الأمن والسلام الدوليين. ويرون أنها قضية ذات أهمية مُلحَّة وضرورية لتحقيق العدالة والحقوق الإنســـانية على مســـتوى العالم الغربي والإسلامي على حدٍّ سواء، ولإشاعة روح التسامح ووأد الكراهية المفضية للصراعات والحروب عالمياً، وداخل مجتمعات ودول الإسلام بصورة خاصة.

وتأتي أهمية تشـــخيص طبيعة هـــذه العلاقة بين الغرب والإسلام من خلال أبرز الاقتباســـات الواردة في هذا الكتاب، التي أبرزت تشـــخيصاً واضحاً من أحد أبناء هذه الحضارة، بل ومن ربابنتها المفكرين! وذلك عـــن طبيعة معظم دول الحضارة الغربيـــة وما فيها من عدوانية وعدم تســـامح تجاه الإســـلام وقضايا المســـلمين، من خلال النتائج العلمية لدى هوفمان. لكن تلك النتائج الســـلبية بحق الحضارة تـــكاد تنحصر في صانعي

السياسات من الحكومات دون معظم الشعوب الغربية المتسامحة التـــي لها رأي آخر أو موقف مختلف، ويجب أن يكون معها عمل مختلف كذلك.

ومـــن المهم معرفته أن ما ورد في هذا الكتاب من مقدمات أو نتائج في الخاتمة عن أفول الحضارة وعن صعود الإســـلام ليـــس ناتجاً عن أمنيات أو رغبـــات وتطلعات، بل إن أفول هذه الحضارة حسب قراءة هوفمان وحسب نتائج الاقتباسات -وهو ابن هذه الحضارة ومفكرها- يعني أفول سيادة الغرب السياسية والاقتصادية وهيمنتـــه العالمية. وحديث هوفمان يتجاوز مفهوم النقد للحضارة وحرية الرأي ووجهة النظر فيها إلى ما هو أكبر من النقد، فالاحتضار والأفول حالة مَرَضِية مستعصية على الحل والإصلاح، بالرغم من امتلاك الغرب وســـائل القوة الاقتصادية والعسكرية، كما يرى هوفمان. والأفول عند هذا المفكر والسياسي جاء وفق معطيات ومؤشـــرات. وهو ما يطرح الســـؤال الصعب على المسلمين خاصة: هل سيبقى المسلمون كالكرة الرياضية بين اللاعبين؟ وهل سيكتفون بالتغني بأمجادهم التاريخية وبأمانيهم العاطفيـــة في أفول حضارة المنافـــس والمصارع لهم؟ أم أن فوز عقيدتهم ودينهم أواخر القرن العشـــرين وما بعده مرحلة أولى لإصلاح أحوالهم وتصحيح مسارهم في رحلة المنافسة والانتصار الطويلة والمتشابكة؟ وما موقعهم مع وجود المنافسين الآخرين في

الهيمنة والاقتصاد كالصين والهند وروسيا، وربما غيرها؟

وهي أسئلة وتساؤلات مشروعة ومطروحة. وهذا الكتاب لم يكن معنياً بالإجابة عنها كلها! لكن إيمان المسلم بما ذكره القرآن من قصص عن الأمم الأخرى يَحسم معظم النتائج. وفيه الإجابات بأن العاقبة في النهاية لمن اتقى الله بخلقه وعَمِل لصالح البشرية. وهي حقيقةٌ تؤكدها سنن الله الثابتة عبر تاريخ البشرية.

وما ورد عن هوفمان ورؤاه المتميزة في هذا الكتاب أنها كانت من الوضوح عن موضوعي الكتاب (الأفول والصعود) لدرجةٍ ربما لا تحتاج إلى تحليل أو تفسير وشرح. وبالتالي تتأكد بعض النتائج وبعض التوصيات التي من أبرزها:

أولاً: أظهرت النصوص المقتبسة -كأنموذج- **(قضية أفول الغرب وتهاوي قيم حضارته)** بأن الغرب يعيش محنة قاسية، وقلقاً كبيراً عقدياً وروحياً مع نفسه وجنوحاً للعنف مع الذات والآخر، بل إن معظم دول وحكومات هذه الحضارة متوترة غير متسامحة مع دين الإسلام ودوله وشعوبه. فهي تعيش ظلامية الإلحاد واللاأدرية والبحث عن الحقيقة بوسائل غير مُوصِّلة لها؛ لأن وسائل البحث العلمي أصبحت لديهم من خلال العقل المجرد من الإيمان، ومن خلال تجارب المادة والطبيعة! -حسب بعض تعبيرات هوفمان نفسه-.

ولهذا فإن رؤى هذا المفكر هوفمان النقدية للحضارة الغربية

المادية المعاصرة وأفولها كافٍ لكشف افتقادها مُعطيات الإيمان والأمن والسلام وتحقيق العدالة والسماحة مع ذاتها فكيف مع غيرها! وهذه المعطيات الكبيرة هي ما تحتاج إليه البشرية بصفة دائمة أكثر من الصناعة والتقنية! ولعل الرسالة الأوضح عن هذه الجوانب هي فيما ورد من النقد الصريح لكثير من سياسات الغرب وَقِيَمه المُستحدثة، حينما أوضح هوفمان عن مادية الغرب بقوله: «فالماديون يقولون إنهم لا يعرفون أي شيء بالتأكيد إذا لم يكن مُدركاً وملموساً ومحسوساً. إلا أنهم ينتقلون بشكل عام ليؤكدوا أنه من «المحتمل» عدم وجود أية حقيقة بعد «الملموسات». وإن هذا الأمر ليس من الذكاء في شيء، بل إنه أمر منحازٌ لا يمكن تسويغه أو تبريره بأي شكل، بل من الصدق تماماً أن نَثْبُتَ على مقولة: إنه بناء على الاستعلام العقلي البشري لا يمكننا تأكيد الاحتمالات الغيبية».[1] وهوفمان تجاوز تشخيصه ونقده للغرب إلى مدارس الفكر العربية الغربية المهزومة ثقافياً، وذلك بطروحاتها المنحرفة وأدمغتها المُستعمَرة بتبني أفكار الحداثة والتنوير، حسب ما ورد في كثير من كتبه، خاصةً ما ورد في كتابه (خواء الذات والأدمغة المُستَعْمَرَة) ففيه النقد بصورةٍ أوضح.

وهذا التشخيص الصريح أو النقد الهادف الواضح للغرب

(١) انظر: مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام يوميات دبلوماسي ألماني، ص١١٨-١١٩.

وحضارته من هوفمان في معظم كتبه هو ما لفت الانتباه عندي شخصياً. وأوجب هذه الكتابة المتواضعة بهذه الاقتباسات. وقد أَوْضَحَتْ النصوص المنقولة في هذا الكتاب كاقتباسات عن هوفمان أنها من أقوى ما يخدم حاجة المسلمين في تشخيص هذه المرحلة الحرجة من حياتهم، وما فيها من تشاؤم أو إحباط لدى بعض المسلمين، حيث تتأكد أهمية المعرفة بوضوح في التشخيص أكثر عن واقع الغرب المتعصب مع كراهيته لنهضة المسلمين. وهذا مهم للتفاؤل والعمل الذاتي على تلمس سبل العلاج عند المسلمين، ومعرفةٍ أكثر عن وسائل الإصلاح الذاتية، وأسباب الفوز والنهضة الذاتية، وعوامل النجاح المأمول للمسلمين دون انتظار من الغرب أو الشرق، أو أفول للغرب وصعودٍ للشرق غير المسلم.

ثانياً: من أبرز النتائج للنصوص المقتبسة افتضاح حقيقة علاقة الغرب بالإسلام، حيث تعاطي الغرب المتعصب بسياساته النفعية البراغماتية مع الإسلام وتجاه الشعوب المسلمة، بل إن بعض ما كتبه الآخرون من المفكرين عن عدوانية دول هذه الحضارة على الإسلام أصبح يؤكد معظم النتائج التي توصَّل إليها هوفمان، وأنه لم يكن نشازاً في رؤيته الواضحة الجلية في كتاباته، حيث لا يكاد كتاب أو مقال أو حوار معه -حسب الاقتباسات- إلا وتظهر فيه تصريحات وتحليلات عن العقلية الاستئصالية

وعدم التسامح الغربي مع الإسلام وقضايا المسلمين. فالغرب المتعصب حسب نتائج النصوص هو **(أصل الصراعات والحروب)**. وهذا ما يؤكده دعم هذا الغرب للتوجهات الفكرية المنشقة عن هويتها وثقافتها فيما بين المسلمين، إضافةً لدعم معظم دول الغرب لحكومات الاستبداد السياسي في معظم دول العالم العربي والإسلامي، وما نتج عن هذا من النزاعات الفكرية والسياسية، واستمرار التخلف العلمي والسياسي للشعوب المسلمة ودولها. وزاد من هذا الواقع المرير لمعظم دول العالم العربي والإسلامي قابليتها للمؤامرة، واستجابة كثير من حكوماتها للمكر والكيد العالمي رغباً ورهبا.

وقد برزت هذه النتيجة من خلال ما أورده هوفمان في مواضع كثيرة من كتبه، وكذلك في مقدمة كتابه عن خواء الذات وأدمغتها المُستعمرة فكرياً وثقافياً.

ومما يؤكد هذا الواقع المرير للمسلمين ما ورد في بعض النصوص المقتبسة من تشخيص لواقع المسلمين أنفسهم وتقصيرهم مع دينهم ونهضتهم، إضافةً إلى واقع التعاطي الخاطئ من الغرب مع الإسلام وقضايا المسلمين. ولهذا فإن بعضاً من المحللين السياسيين وعلماء الاجتماع والتاريخ وكثيراً من رجال الفكر المستقلين يرون في كثير من كتبهم وكتاباتهم أن أصل الصراعات والحروب وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية

القائمة في أوطان المسلمين معظم بواعثها من السياسات الغربية وتدخلاتها المعادية أو المنحازة، أو غير المتسامحة مع القضايا الإسلامية، كفلسطين وأفغانستان ومصر والسودان ولبنان وغيرها، بل إن معظم الحروب الداخلية بين الحكومات والشعوب كما هو في العراق وسوريا وليبيا واليمن مطلع القرن الواحد والعشرين مبعثها واستمراريتها هي بتدخل القوى الدولية الغربية والشرقية وبعض منظماتها، وذلك بدعم طرف على حساب أطراف أخرى، سواءً بالمواقف السياسية المنحازة أو ببيع الأسلحة لطرف ضد الآخر بشكل فاضح ومكشوف.

ثالثاً: تؤكد هذه الاقتباسات أن معظم الحكومات الغربية متعصبة، وتجنح للعدوانية وإلى عدم التسامح الأخلاقي والسياسي مع الإسلام وقضاياه، بل وصناعة المؤامرات والكيد الاستعماري والاستعلاء الاستعبادي للآخرين. وهذه النتيجة المرتبطة بمعظم الحكومات الغربية تختلف إلى حدٍّ كبير عن **(شعوب الغرب ومجتمعاته)**، التي كثير منها متسامح مع الإسلام وقضايا المسلمين، وهي النتيجة التي أشار إليها القرآن الكريم وأكَّدها بقوله تعالى ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (آل عمران:١١٣)، وهذه النتيجة مما تدفع للعمل على إيجاد المزيد من مراكز الحوارات (الإسلامية النصرانية) مع الشعوب، التي تتطلب المزيد من

افتتاح الجمعيات والمؤسسات المعنية بهذا، وكذلك صناعة كل أنواع الحوارات من خلال المسجد والكنيسة والمدرسة والمقهى والشارع، بل والبرلمان والصحيفة والمذياع والتلفاز ووسائل التواصل الإلكترونية وما شابهها.

فهذه النتائج حول الاقتباسات عن علاقة الغرب المتوترة مع الإسلام -مهما بلغت- إلا أنها مما يقود ويُحفِّز على التواصل مع الشعوب الغربية بقوة، للحوار الهادف وتبادل قيم الثقافات والمشتركات الإنسانية الحقة، بعيداً عن تأثيرات سياسات الحكومات المتعصبة ومنظماتها المنحازة في صناعة الصراعات وافتعال الحروب والأزمات، وقد أكّد على مشروعية الحوار ووجوبه القرآن الكريم بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران:٦٤) وكثيراً ما وَصَفُوا المسلمين والإسلام بأنه دين الكراهية والظلامية، وكأن هذا الوصف لنفي ما اتصفت به دول الحضارة المادية، التي يصدق بحقها المثل الشائع (رمتني بدائها وانسلت).

رابعاً: أكدت كثير من النصوص المقتبسة أن الكراهية لدى متعصبي الغرب ليست في جانب الحق الفطري فحسب، ولكنها كراهية إرادية فاعلة. و(**الكراهية والمحبة**) أمر جُبلت عليه

البشرية. وهما من الحقوق الإنسانية للجميع؛ لأنهما مشاعر وعواطف فطرية، لكن تحكمها وتضبطها الأديان وثوابت القيم. فالمسلم وغير المسلم على حدٍّ سواء مجبولون فطرةً على هذا الجانب العاطفي الذي تضبطه وتكبح جماحه في الغالب الأديان والثقافات والقيم، وربما الأنظمة والقوانين إلى حدٍّ معين. ويمكن أن تدفع بعض الأديان والثقافات وبعض القوانين إلى هذه الكراهية، بل وتوظيفها كذلك.

وفيما يخص المسلمين فعقيدة الولاء والبراء وضوابطهما مما يحكم حياة المسلم وتصرفاته، حيث الكراهية في دين الإسلام كراهية فطرية دينية، لكنها لا تعني الاعتداء والعدوان على الآخر. وحينما توجد من أفراد أو مجموعات فإنها عند المسلمين تُعدُّ غير منضبطة بضوابط الإسلام! ولم يُسجِّل التاريخ عدواناً مشروعاً من المسلمين على غيرهم بسبب الكراهية أو عقيدة الولاء والبراء فقط.

فالولاء والبراء الذي مجاله العقيدة لا يتعارض مع التسامح والعدل الذي ميدانه التعامل والمعاملات مع المسلم وغير المسلم. والتاريخ خير شاهد على ذلك مع الأقليات غير المسلمة التي كانت تحت حكم المسلمين، وبقيت كذلك بعدهم! بخلاف واقع معظم دول الغرب المتعصب، فالكراهية لديه تدفعه إلى أفعال إرادية بعدوانية وعدم تسامح، بل وتتحول الكراهية عند

الغرب المتعصب. برموزه وساســـته ومفكريـــه ورجال دينه إلى إذكاء الصراعات والحروب وأفعال إرادية على مســـتوى الدول والحكومات، وليس الأفراد والجماعات، حيث إن دينهم الذي لم يبقَ منه ســـوى التعصب العنصري الديني يدعوهم إلى كل أنواع العدوانية، كما حدث فيما يُعدُّ أزهى قرن للحضارة الغربية-على سبيل المثال -مع مسلمي أوروبا (البوسنة والهرسك وكوسوفا)، وكما حدث تجاه مســـلمي أفغانستان والعراق، وغيرها كثير من صور الكراهية والعدوانية.

كما أن مصالح الغرب الاقتصادية وأنانيتهم المفرطة تتحول في ســـلوكهم اليومي إلى كراهية غير مســـبوقة تجاه أي نهضة للعالم الإسلامي وشعوبه المسلمة. فتتحول هذه الكراهية لديهم إلى أفعـــال إرادية غير مقبولة بحق الحضـــارة الغربية ودولها قَبْل أن تكون بحق المســـلمين، فماذا يعني افتعال أو تأييد بعض الحـــروب والصراعات في أنحاء العالم؟ وكيف يُفسَّـــر الصمت الحكومي الغربي تجاه انتهاك حقوق الشـــعوب المسلمة ودولها؟ وكيف يمكن فهم تهميش حقوق العالم الإسلامي وإقصاء حقوقه في الشـــراكة بعدالةٍ مع المنظومة الدولية؟ وهل يمكن أن تتوقف أفكار حملات الكراهية الإعلاميـــة الغربية الدعائية المنهجة تجاه العالم الإســـلامي والمسلمين ودينهم الإسلام التي لا تُقارن بغيرها -كما ورد في هذا الكتاب من نماذج عنها-؟!

خامساً: أن من نتائج هذه الاقتباسات حول أفول الحضارة الغربية ودولها وعدوانيتها سابقة الذكر في هذه الخاتمة تؤكد ما كان مشكوكاً فيه لدى بعض التوجهات الفكرية المنهزمة حول حقيقة **(المؤامرات)** من قِبَلِ دول الغرب، وذلك في قضايا العالم الإسلامي والعربي خاصة، وعلى رأسها احتلال فلسطين، وما كَتَبه التاريخ عن مؤامرة وعد بلفور ١٩١٧م وتسليم بريطانيا فلسطين للمحتلين من اليهود.

وربما أن هذه النتيجة تؤكد القول إن بعض الدول الأوروبية وبريطانيا بشكلٍ خاص سلَّمت فلسطين أو تواطأت للتخلص من اليهود ووجودهم الأوروبي، ولتضع من اليهود كذلك حاجزاً عسكرياً بين أوروبا والعالم العربي والإسلامي. وهو ما تقوله بعض الكتابات والأصوات. ومن هؤلاء مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق؛ لتكون نتائج الصراع المستقبلي للاحتلال الصهيوني ضحايا من العرب والمسلمين بالدرجة الأولى! ومع يهود الاحتلال ذاته كذلك! ولهذا كان التوطين لليهود لئلا تصل وتمتد الصراعات والحروب المفتعلة، وربما المنهجة في العالم الإسلامي إلى القارة الأوروبية.

فقضية فلسطين والعدوان اليهودي الصهيوني مما يؤكد بوضوح حقيقة المؤامرات في معظم القضايا والأحداث الأخرى العالمية، كما أن أنانية الاستحواذ الاقتصادي ونزعة الهيمنة

السياسية هما السلوك الأساسي لحياة الغرب السياسية وعلاقاتها الدولية، خاصةً إذا أُضيفت لها الروح العدوانية المتعصبة الموروثة. وعليه فإن الكيد والمكر نتيجة طبيعية تتلازم مع عقلية الاستحواذ والهيمنة الغربية أو مع إحداهما.

ولا يمكن لحضارة -أياً كانت- أن تدوم بهذه العقلية العدوانية، التي لا تجد غضاضة في إقصاء قيم التسامح والعدل بكل قوة من أجل قيم النفعية.

ومن جانب آخر حول الأفول للقوة العسكرية في الحضارة الغربية وذيولها وأنها أصبحت بدولها الكبرى بحالة تؤكد كثيراً ما أورده هوفمان حول أفول الغرب وصعود الإسلام، فنموذج مقاومة غزة للكيان الصهيوني في فلسطين بشهر مايو ٢٠٢١م كان حسب صحيفة الغارديان البريطانية وصحيفة هآرتس الإسرائيلية بمحرريها فريدلاند وألوف بين بأن العدوان الإسرائيلي على غزة كان «أكثر الحروب فشلاً وعبثية في التاريخ» «وأن إسرائيل تعرضت لكارثة استراتيجية»[(١)]. حيث صواريخ حماس التي غيرت معادلات توازن القوة المادية

(١) انظر: صحيفة BBC العربية، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني: على إسرائيل أن تأخذ في الاعتبار أن الرأي العام ينقلب ضدها - في الغارديان، بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢١م، الرابط التالي:
https://www.bbc.com/arabic/inthepress-57210018.

والعسكرية بين الفلسطينيين والمحتلين والتي أوجدت هزيمةً ورعباً غير مسبوق داخل الكيان الصهيوني المحتل، بل وُصفت هذه التحولات السياسية والعسكرية في موازين القوة حسب الـ BBC العربية بأن قوة صواريخ غزة وانتصاراتها أوجدت «تحول مزلزل في سياسات الحزب الديمقراطي الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية»[(١)].

سادساً: الكتابة عن (**سطوة**[(٢)] **الأفكار الزائفة**) حول تعظيم الحضارة الغربية وتقديس علومها ومنتجاتها يُعدُّ مشروعاً كبيراً، طالما عَمِل عليه رواد من مفكري الإسلام ومثقفيه، بكتب متفرقة وكتابات علمية ناقدة لحضارة الغرب والشرق. وهي مُثمرة ومُفيدة في بابها؛ لأنها تدعو لعدم التعظيم والتقديس والتأليه، في الوقت الذي لا تُمانع من الاستفادة من وسائلها النظيفة. ويضاف لما سبق أهمية الاستفادة المثلى من الكتب الغربية الناقدة من منصفي الغرب، وهي التي تفوق في عددها وحجمها مؤلفات مفكري الإسلام.

---

(١) انظر: صحيفة BBC العربية، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني: تحول "مزلزل" في سياسات الحزب الديمقراطي الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢١م، الرابط التالي:
https://www.bbc.com/arabic/world-57205035.

(٢) ولأهل اللغة رأي حول كلمة (سطوة)، أنها تكتب وتنطق (أسطوة) بإضافة ألف قبل السين.

وعن هذا الزيف فإن هوفمان وغيره من المُنصفين يرون أن انحراف هذه الحضارة الفكري كبير، لا يمكن الترقيع فيه، بل إنه مُحرق لمنجزات هذه الحضارة وهداياها الجميلة للبشـــرية، كما هي نتائج الاقتباسات الواردة في هذا الكتاب. ويتأكد هذا الخلل والزيف في فقدان هذه الحضـــارة لأهم خصائص الحضارات حسب الاقتباســـات، حيث فقدان الدين والإيمان بالغيب، الذي يضبط سلوك البشرية ويصنع توازنها النفسي، ويمنحها السعادة والإيمان واليقين، بدلاً من الشـــقاء واليأس الروحي. ثم إذا ما أُضيـــف إلى هذا مـــا هو في الحســـبان والاعتبار لأي حضارة ألا وهو مآلاتها ونهاياتها التي ربما ســـتؤول إليها -والله أعلم- حيث كثير من المعطيات العلمية والمؤشـــرات السياسية لا تبشر بمستقبل ســـعيد للبشـــرية، في ظل هذه الحضارة، خاصةً مع امتلاكها لأســـلحة الدمار الشـــامل المتنوعة التي قد تُدمِّر كل منجزات الغرب المادية ومعها البشـــرية جمعاء! وهو الأمر الذي يُضعف أو يُسقط هذه السطوة للأفكار الزائفة.

ومن جانبٍ آخر حول سطوة بعض الأفكار الزائفة التي كتب عنها هوفمان في بعض كُتبه، فقد تأكدت حالة الضعف والتردي الغربي لسطوة قوة الغرب بصناعاته العسكرية وأسلحته الفتاكة، وذلك بعد بُرهةٍ زمنيةٍ من أبحاث هوفمان ودراســـاته، خصوصاً حينما حدث الانسحاب الأمريكي والغربي عموماً من أفغانستان

والتي وصفتـــه بعض الصحافة الغربية بعناوين (هزيمة الغرب) و(هزيمة أمريكا) أمام الجهاد الأفغاني،[1] بل بهذا الانســـحاب من أفغانستان يكتمل بعض المشـــهد السياسي حول الاحتضار الغربي والصعود الإســـلامي بنشدان السيادة والحريات، وذلك من خلال المفاوضات والاتفاقيات الرسمية الدولية للغرب بقيادة أمريكا مع خصوم هذه الحرب وهم حركة طالبان التي تســـلمت حكم أفغانســـتان بدخولٍ سلمي وترحيبٍ شـــعبي لمعظم مُدنها وأراضيها وعلى رأســـها كابل في ٢٠٢١/٨/١٥م، وبالتالي رحيل القوة العســـكرية الكبرى من أفغانستان بالرغم من عدم توازن القوة العسكرية بين أفغانســـتان والغرب، لكن العقيدة القتالية للأفغان تفوقت على الترسانة العسكرية للغرب!

ومما يُعزز عنوان الكتاب ورؤى هوفمان عن احتضار الغرب وأفـــول هيمنته، وكذلك ما جاء في المقدمـــة عن أن الاحتضار

(١) انظر: صحيفة واشـــنطن بوست، بعنوان: (الانهيار السريع لأفغانستان هو جزء من هزيمـــة طويلة وبطيئة للولايات المتحدة)، بتاريخ ١٣ أغســـطس ٢٠٢١م، الرابط التالي: https://wapo.st/3k0BFt5، وتم نقله وترجمته في موقع قناة الجزيرة، بعنوان (مقال بواشنطن بوست: انهيار أفغانستان جزء من هزيمة بطيئة وممتدة لأميركا) الرابط التالي: https://bit.ly/3g7er32، وانظـــر: موقع opendemocracy البريطانـــي، بعنوان: (هزيمة الغرب في أفغانستان ســـوف ترضي الصين وتلهم المتطرفين الإســـلاميين)، بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠٢١م، الرابط التالي: https://bit.ly/3AMdqWc.

والأفول يعني الانكفاء وانحسار الهيمنة الغربية وتدخلاتها ما أوردته وكالات الأنباء العالمية وأخبارها بتاريخ ٢٠٢١/٥/١٩م مثلاً، ومنه: « أعلنت وزارة الدفاع الأميركية الجمعة أنها بدأت خفض أنظمتها للدفاع الجوي في الشرق الأوسط... ووفقًا لصحيفة وول ستريت جورنال، بدأ البنتاغون أوائل حزيران/ يونيو سحب ثماني بطاريات مضادة للصواريخ من العراق والكويت والأردن والسعودية، بالإضافة إلى درع (ثاد) المضاد للصواريخ الذي كان تم نشره في السعودية. وتتطلب كل بطارية مضادة للصواريخ وجود مئات الجنود. وسحب تلك البطاريات يعني رحيل آلاف الجنود الأميركيين من المنطقة»[(١)].

ونقلاً عن كارنيغي للسلام الدولي ورد: « تقليص البصمة العسكرية الأمريكية في المنطقة، كما بات معلوماً، يتعلق بحسابات داخلية، وجدل أمريكي مستمرّ منذ آخر ثلاث إدارات أمريكية على الأقل، وهو متعلّق أيضاً، وخاصة حالياً، بلعبة التنافس والصراع بين القوى العالمية... وفي اللحظة التي تترقب فيها العواصم الخليجية وكذلك إسرائيل مثل هذا التراجع، وتحاول التكيّف مع استحقاقاته والتحسّب له؛ بخطوات جزئية وليس

(١) انظر: فرانس ٢٤، بعنوان: (الولايات المتحدة تخفض وجودها العسكري في الشرق الأوسط)، بتاريخ ١٩ يونيو ٢٠٢١م، الرابط التالي:
https://bit.ly/3h1gLJF

عبر استراتيجية شاملة، ثمة من يلفت الأنظار إلى أن (مستقبل الشرق الأوسط يتعلّق بتراجع القوّة الأمريكية وصعود الديناميات الداخلية في المنطقة، الإيجابية والسلبية، التي تملأ الفراغ»[(١)].

وحول حلفاء القوة الآخرين لأمريكا وانحسار قوتهم كما هو الوضع الأمريكي، كتب المصدر ذاته: «لكنّ المؤشـــرات والدلائل غير مؤكدة على وجود استراتيجية شاملة ومتماسكة لدى حلفاء أمريكا حول كيفية التفاعـــل مع الخروج الأمريكي من المنطقة. التشتت والارتباك ما يزال قوياً. وإنتاج أدوات الردع الفعلية التي تعزز الحلول الدبلوماسية والتهدئة المستدامة غير متوافرة لدى هؤلاء الحلفاء»[(٢)].

وبقدر ما في هذه الأقـــوال والتقارير عن احتضار الغرب وأفول دوله وفوز منافسه الإســـلام بانتصاره العقدي والثقافي والأخلاقي فإنها تقارير تؤكد في مُحصِّلتها النهائية على سقوط الأفكار الزائفة التي يتم تسويقها إعلامياً وسياسياً حول الغرب وحضارته وقوته بإرهابٍ حكومي مُنظَّم على مستوى العالم.

(١) انظر: مؤسســـة كارنيغي للســـلام الدولـــي، بعنوان: (جدّية الانســـحاب الأمريكي من الشـــرق الأوســـط وجولة الصراع في القدس وغزة)، بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٢١م، الرابط التالي:
https://carnegieendowment.org/sada/84666

(٢) انظر: المرجع السابق.

سابعاً: أوضحت بعض النصوص المقتبسة ضعف أو غياب **(الأمانة العلمية)** لدى بعض أرباب الفكر الغربي عند بدايته الحضارية. وهو ما يتطلب زيادة البحث والتحري حول الادعاء الغربي عن نشأة علومه ومعارفه. وهو ما يستوجب على الباحثين من المسلمين خاصة، وذلك بالتحقق الجاد والكامل عن أصول كثير من الكتب العلمية في العلوم التطبيقية والتجريبية من الكيمياء والفيزياء والأحياء والرياضيات، وأصل علوم الميكنة والتقنية، وأن هذه العلوم الغربية ليست بمعظم أصولها فقط اقتباسات واستفادة من كتب المسلمين، التي يُعدُّ تبادلها حقاً حضارياً للجميع بين الأمم. وإنما الإشكالية الكبرى لو ثبتت سرقة بعض كُتب العلوم والمعارف كاملةً كذلك من الغلاف إلى الغلاف، أو أن بعض المصادر والمؤلفات العلمية الغربية تم اكتشافها بأنها سرقات علمية كاملة كذلك، من خلال نزع أغلفة كتب لعلماء الإسلام سابقاً ووضع أسماء أخرى بديلةٍ عنها!

والسرقات العلمية بهذا الحجم والمستوى تُعدُّ من العدوان والجنايات بحق التراث الإسلامي! وهذا مما يستحق الوقوف عنده والتوثيق له؛ لأهميته في تقييم حضارةٍ طالما أضفت على بعض علومها قداسة ومزايدات لاستعباد الآخرين واحتلال بلدانهم!

ولهـــذا تتأكد أهمية التقصي والمزيد من البحث للكشـــف أكثـــر، حيث إن أصل هيمنة الحضـــارة الغربية جاء من التعالي بعلومها التجريبية والتطبيقية، وحيث إن هذا هو الميدان الرئيس لتفوق حضارتها ومنافستها! فإذا ثبتت هذه الجنايات والسرقات بصورة متكاملة من خلال بحـــوث علمية محكَّمة فإن هذا مما يضيف عاملاً أساســـياً عن ســـقوط آخر كبير لهذه الحضارة، فصناعاتها وتقنياتها التي قامت على علوم الآخرين من المسلمين خاصـــةً هي ما بقي لها مـــن رصيد حضـــاري تتعالى به على المسلمين وغيرهم!

والإثبـــات الكامل عن هذه الجنايـــات بحق الأصول العلمية والمعرفية لعلوم الغـــرب أو نفي ذلك يُعدُّ حقاً من حقوق التاريخ، ومن حقوق الأجيال، ومن حقوق الإنسان في السابق واللاحق. وهو ما يطرح أهمية قيام مركز أو مراكز معنية بالأبحاث والدراسات عـــن تاريخ العلوم وحركتها التاريخيـــة؛ لمعرفة الجذور التاريخية والأصول المعرفية لهذه العلوم. وقد عَمِلَتْ البروفيسورة الروسية **إلينا ميخال** Elena Mikhailovna على شـــيء من هذا التقصي، وذلك حول تاريخ العلوم عند المسلمين! وغيرها كثير.

وتُعدُّ بحوث البروفيسور الألماني التركي **فؤاد سزكين** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (مرحلة أولى) في هذا المشروع عن تاريخ العلوم لدى المسلمين،

خاصةً أن الباحث فؤاد سزكين عمل من خلال مركز علمي حوالي ستين سنة مع فريق علمي من ألمان وأتراك وعرب على التدوين التاريخي عن المؤلفات والمؤلفين من المسلمين. إضافةً إلى معرفة أصول الكتب الأوروبية في العلوم، وخاصة الطبيعية منها؛ لإرجاعها إلى أصولها المعروفة، وربما (المُنْكَرة). وقد نجح هذا الفريق -حسب قول الأستاذ الدكتور المقرئ الإدريسي- في أن يصل إلى أكثر من (١٥٠,٠٠٠) كتاب. واستطاع سزكين وفريقه بعد ٦٠ سنة أن يفحصوا أكثر من (٤٠,٠٠٠) ألفاً منها، وأن ينشروا تعريفاً لما يزيد عن (٣٥,٠٠٠) ألف كتاب بتعريف عن أصولها العربية! ومنهج هذا الباحث أنه يأتي بالكتاب الأوروبي، ثم يتتبع أصوله ليجد أن كثيراً منها وُجد بعملية ترجمة من العربية! وذلك زمن ما يُسمى بعصور النهضة في القرون (١٤، ١٥، ١٦) الميلادية، حيث حركة الترجمة الأوروبية من العربية -حسب الدكتور أبو زيد المقرئ الإدريسي-.

بل إن الإدريسي يرى أن بعض المُترجِمين يُزيلون اسم المؤلف العربي ويضعون اسماً آخر وربما اسم المُترجِم. وهذه السرقات العلمية تمت في علوم البصريات، وفي الطب، وفي الفلك، وفي الجراحة والتشريح، وفي الزراعة، وفي علوم البحار، وفي الملاحة، وفي الطقس والهندسة، إلى آخر ذلك من هذه العلوم.

ولـــم يكن من بينها ما يتعلق بالفكـــر والعقيدة والتوحيد. ولهذا -حســـب الإدريسي- ربح الغرب أمرين وهما أنه: أخذ كثيراً من علوم المسلمين وانتحله لنفسه، وأنه بَنَى بهذا قوة نفسية ثقافية بأنه ألَّف وَكَتَب ثم صَنَع! وقد أباحت لهم أخلاقهم ما لم تســـمح به أخلاقيات المســـلمين من السرقة ومن الانتحال. وهذا خلاف النقل والاقتباس الذي هو حق مشروع علمياً.[1]

(١) انظر: أبو زيد المقرئ الإدريســـي، يوتيوب: سلســـلة كيـــف يرانا الغرب؟ |الحلقة ٦| الســـرقة العلمية للكتب الإســـلامية من الغرب. الرابط التالي: https://youtu.be/oDtS5oCYtOE، وهذا القول من الدكتور أبو زيد المقرئ الإدريسي من محاضرة له موجودة باليوتيوب وربما تكون صائبةً أو خاطئة حول السرقة الكاملة للكتب وحول الإحصاءات التي ذكرها، وهو ما يتطلب التوثيق من خلال البحوث والدراســـات والمقـــالات العلمية -إن وُجدت-، ومن خلال بحوث ودراسات غيره من المتخصصين حول السرقات العلمية «الكاملة» للكتب العربية الإسلامية الذين يرددون في كتاباتهم: (لولا علوم العرب المســـلمين ما كانت هناك حضارة غربية)، وعن هذه الاقتباســـات والسرقات كتبت بعض المصادر الأجنبية ومنها:

أ- البروفيسور تشالويان، الشرق والغرب: الاستمرارية في فلسفة المجتمع القديم والقروســـطي، طبع دار ناووكا، موســـكو سنة ١٩٧٩م (ص/١٥١-١٧٨).

ب- البروفيسور غايدينينكو، والبروفيسور سميرنوف، علوم أوروبا الغربية في العصور الوســـطى. المبادئ العامة وعقيدة الحركة. موســـكو: «العلم»، ١٩٨٩. (ص/ ١٩٣-١٩٧).

ج- المستشرق الروسي الشـــهير بارتولد، المجلد التاسع، أعمال في تاريخ الاستشراق، موسكو: ناوكا، ١٩٧٧، (ص/٢٧٧).

وهذا الطرح للإدريسي يتطلب البحث عن ما يؤيده أو ما يرفضه حول (السرقات الكاملة)، من خلال بحوث علمية دقيقة! بالقراءة الكاملة في كتاب سزكين الشهير (تاريخ التراث العربي) وغيره.

ومما يمكن أن يُثري هذا الموضوع ما ورد من نتائج في كتاب (ألف اختراع واختراع من التراث الإسلامي في عالمنا)، وهو الكتاب الموسوعي عن حقيقة الحضارة الإسلامية وروادها ومنجزاتها الحضارية التي أسهمت بمخترعاتها وإبداعاتها في ولادة التطور في حضارة العالم المعاصر وصناعاته.

والمحرر المسؤول عن الكتاب هو البروفيسور سليم الحسني رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة FSTC، ورئيس مبادرة ألف اختراع واختراع بالمملكة المتحدة، أما المشاركون في تحرير الكتاب فهم ٢١ بروفيسور ودكتور، أساتذة بمختلف العلوم البشرية والكونية والتطبيقية[١].

ثامناً: أكدت النصوص الواردة في هذا الكتاب وجوب وأهمية العمل الجاد بالدراسات التحليلية -وليس فقط إيراد النصوص المقتبسة- حول طرح هوفمان المتكرر في كتبه ومقالاته ومحاضراته ومقابلاته عن رؤيته حول **(الحل الأمثل للبشرية والبديل الحضاري)**،

(١) انظر: جريدة الحياة، عرض كتاب: (ألف اختراع واختراع من التراث الإسلامي في عالمنا)، بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٩م، الرابط لتالي:
https://bit.ly/3rMh3YJ

في ظل أزماتها الفكرية المعاصرة، وتنقُّلِها فيما بين الشيوعية والرأسمالية، وما بين الحداثة وما بعد الحداثة، وأيديولوجيات أخرى. كما أكَّدت النصوص المقتبسة كذلك أن سقوط الشيوعية مؤذن بسقوط الرأسمالية، كما هي تعبيراته في بعض كتبه، ومن ذلك قوله: «والغرب ينتظر مثل هذا المصير. فبعد انتصاره على الشيوعية يتهدده تدمير الذات ومصير الفناء، إلا إذا تجاوز تأليه الإنسان، ووجد طريقه مرة ثانية عائداً إلى التمسك بالقيم الإلهية، ويشير الإسلام إلى هذا الطريق»[(١)].

فالقراءات التحليلية المنصفة عن هوفمان ورؤاه حول البديل الحضاري تتأكد أهميتها أكثر من السابق، في ظل تزايد صراع الأفكار المدعوم سياسياً، وفي ظل أفول بريق الفكر الغربي، خاصةً مع تنامي قوة الإسلام الفكرية والثقافية، لا سيما أن هوفمان يطرح بقوة ووضوح ودون تردد أن البديل الصالح للبشرية هو الإسلام، كما هي عناوين كتبه وموضوعاتها (الإسلام كبديل) (الإسلام عام ٢٠٠٠) (الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود) (مستقبل الإسلام في الغرب والشرق)، حيث القسم الخاص بهوفمان في الكتاب المُشترك مع المؤلف الآخر.

وما كَرَّره في كتبه هذه وغيرها هي قناعات عقدية وفكرية لديه بأن الإسلام هو البديل الحضاري المُنقذ للإنسانية.

(١) انظر: مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، ص٢٩٩.

فالإسلام -حسب النصوص المُقتَبَسة من أقواله- قادر على تقديم منظومة الحياة المعاصرة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية. وغير ذلك من الجوانب. لكن السؤال الكبير ما الخطوات العملية التي يرى هوفمان العمل بها؟ وما الوسائل التنفيذية الممكنة؟ وما جوانب التجديد والاجتهاد الفقهي التي يطرحها هوفمان؟ وغير هذا من الجوانب المرتبطة بطرحه المتكرر عن الإسلام البديل، وأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأنه رحمة للعالمين جميعاً، وأن الإسلام بديل حضاري قادر على قيادة العالم حضارياً، وأن تشريعاته قابلة للتطبيق في العصر الحاضر وفي أي عصر. وهي تساؤلات تتطلب إجابات من باحثين لديهم القدرة على الدراسات التحليلية.

وربما أن كتابيّه المشهورين (في تطور الشريعة الإسلامية)، وكتاب (نظام الحكم الإسلامي في العصر الحديث) يُجيبان عن كثير من هذه التساؤلات. مع الربط بين هذا وبين تفاؤله الكبير بأن هذا القرن الواحد والعشرين هو (قرن الإسلام) وتحديداً في أوروبا! ولعل هذا التفاؤل القائم على معطيات علمية ومؤشرات حضارية مما يُهوِّن على البشرية والإنسانية جمعاء حلول الرحمة الإلهية للعالَمِينَ، خاصة المسلمين منهم باقتراب الفرج. وهو ما يُحفّز كذلك على التبشير بعدالة الإسلام وأمنه وسلامه -من خلال ما ورد في الفصل الثالث والرابع- بديلاً

عن حضارة أعطت هداياها، لكنها في الأخير وفي بداية مآلاتها الْتَفتت على عطائها المادي لتركلـــه بأقدامها، أو لتغتالَه وتَقْتُله عمـــداً. وكل هذا مما يتطلب المزيد من البحث في هذه القضايا كمشروع أو مشـــروعات علمية، وما هو الممكن من غير الممكن، وذلك للإجابة عن أبرز تســـاؤلات الســـاحة الفكرية، بل وعن مدى دقة هـــذه النتائج لدى هوفمان من ضعفهـــا لدى القُراء والباحثين، وبالأخص من خلال جميع كُتُبه وأبحاثه ودراســـاته ومقالاته ومحاضراته، وكذلك مما تتضمنه وتحتويه أبرز الكتب المماثلة في الطرح والنتائج؛ ليكون هذا الطرح عن البديل الأمثل مشـــروعاً أو مشـــروعات علمية بمنهجية الدراســـات المقارنة كدراسات رديفة ومساعدة في دقة النتائج.

تاسعاً: أن مـــن أبـــرز النتائج لهذه الاقتباســـات أن معظم كتابات هوفمان عن ســـقوط الغرب أو أفوله يتلازم معها أو مع معظمها تقديم البديل الحضاري الصاعد فكرياً وثقافياً، حيث يرى أن القرن الواحد والعشـــرين هو **(قرن الإسلام)**، بل إنه عند أي حوار أو لقاء شـــخصي معه يتحـــدث كثيراً عن تفاؤله بفوز الإسلام وصعوده، وأنه مؤهل لإنقاذ البشرية بكلام نفيس. وكُتبُه خير شـــاهد بعناوينها على هذا الجانب عدا عنً موضوعاتها. كما أن هوفمان كان يطيل الحديث عن صديقه وأســـتاذه محمد أســـد، ويقتبس منه أحياناً خاصةً فيما يتعلق بقناعاته الفكرية

بالإسلام ومستقبله مما ورد في كتابه الطريق إلى مكة وبعض كُتبه الأخرى، بالرغم من النزعة العقلانية عند أسد في بعض كتاباته وعدم وجودها في كتابات هوفمان! بل إن هوفمان وأستاذه محمد أسد يريان كلاهما أن أمة الإسلام بعد منتصف القرن العشرين تحديداً قد تجاوزت الهزيمة النفسية والفكرية بتوصيف دقيق بليغ مملوء بالتفاؤل من قبلهما. وعن هذا كَتَبَ هوفمان: «وقد أصبحت كتب محمد أسد جميعها، وبلا استثناء، من الكتب التقليدية الهامة، كل في مجاله.

ففي كتاب (الإسلام على مفترق الطرق) الذي أصدره محمد أسد عام ١٩٣٤م أسهم في استرداد العزة والكرامة والاعتزاز بالذات للعالم الإسلامي، الذي قدَّم الاعتذار تلو الاعتذار؛ بسبب فقده للثقة بنفسه تحت الهجوم الضاري للتفوق التقني الغربي. وقد كَتَبَ محمد أسد ما يلي في الهند قبل أكثر من خمسين سنة ببُعْد نظرٍ مُدهش: "من المحتمل... أن الاضطراب الاجتماعي والاقتصادي المتناميين، وكذلك سلسلةٌ جديدة من الحروب العالمية التي لا تُعْرَفُ أبعادها حتى ذلك الحين، وكذلك الإرهاب العلمي، ستؤدي جميعها إلى خداع الذات المادي للحضارة الغربية بطريقة شنيعة ومخيفة سخيفة ومنافية للعقل، تدعو أهل تلك الحضارة أن يبدؤوا من جديد بتواضع وصدقٍ في الطلب والبحثَ عن الحقائق الروحية. ويتوافق هذا

عندئذٍ مع الدعوة الموفقة الناجحة إلى الإسلام التي يمكن أن تُصبح أمراً مُمكناً وواقعاً ملموساً..."».[1]

كما يقول هوفمان عن تفاؤل محمد أسد حول مستقبل الإسلام: «ويعتقد محمد أسد دون أدنى شك أنه لا بد من عمل المزيد والمزيد قبل أن تصبح البشرية على مستوى العالم جاهزة لمواجهة تقدم استراتيجي للإسلام، وإنه يتوقع مني أن أتحمل بعض أعباء هذه المهمة الجليلة، ويقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ (البقرة:١٥٣). وليس عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر مستحيل».[2] وأقول معلقاً عن الرجلين: رحم الله الجميع ممن عاش حضارة الغرب المادية، وعرف حقيقتها وأسهم في تشخيص زيفها! بل وأوصَلَهُ هذا التشخيص إلى طرح الإسلام بديلاً مُنقذاً للغرب وللبشرية جمعاء، وهو عمل يستحق الإعجاب والتقدير.

والحقيقة أن هذه القامات الفكرية الأوروبية بما قدمت من تضحيات وخدمة علمية فكرية تستحق الكثير من الوفاء بحقهما وحق الفكر الذي ورَّثوه، وربما كان شيئاً من التقصير من بعض المسلمين تجاه جهود محمد أسد وهوفمان وعلي عزت -كنماذج-. وليس الحال بنكران للجهود أو عدم مبالاة بهؤلاء

(١) انظر: مراد هوفمان، الرحلة إلى الإسلام يوميات دبلوماسي ألماني، ص٦٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٨٧.

المفكريـــن! كما قد يـــرى هوفمان عن حـــال إخوانه من العرب والمسلمين.[1]

عاشراً: أن هذه الرؤية الواضحة لدى هوفمان في الاقتباسات الواردة ترفع من نسبة الوعي المعرفي عند المسلمين عن مشروع نهضتهـــم ومُحفِّزاته، كمـــا تُعزز الفهم أكثر عـــن هذه العلاقة الســـلبية المؤثرة من الغرب المتعصب على الاستقرار السياسي والنهوض للعالم العربي والإسلامي. ولأجل أن هذه النتائج مهمة جداً في التشـــخيص حول رؤية هوفمان، فـــإن هذا يتطلب ما يوازيها ويُماثلهـــا ويُعزِّزها من عمل (**جهود أخرى**) مقترحة تُعطي تشـــخيصاً أكثر ورؤية أشمل؛ لتضاف إلى هذه النتائج الخاصة بالمفكر هوفمان حول الأفول والتفـــاؤل والعمل، وذلك بقراءات إضافية مـــن كُتب مفكريـــن آخرين، كما هو المفكـــر الأوروبي المسلم الآخر **محمد أسد** (ليوبولدفايس) بكتبه المعروفة عنه وهي: (منهاج الإسلام في الحكم، الإسلام على مفترق الطرق، الطريق إلى مكة، رســـالة القرآن «ترجمة معاني سور القرآن»، صحيح البخاري: الســـنوات الأولى للإســـلام «ترجمة»)، ومثل المفكر والسياســـي الأوروبي الآخر **علي عزت بيجوفيتش** الذي تفيض كتبه بمشاعر التفاؤل وأهمية العمل للإســـلام والمسلمين، وأبرزها: (الإعلان الإسلامي، الإســـلام بين الشرق والغرب، هروبي إلى

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٨٣.

الحرية، عوائق النهضة الإسلامية، الأقليات الإسلامية في الدول الشيوعية). وهذا على سبيل المثال لتكتمل الصورة أكثر حول تشخيص المسألة الحضارية لدى الغرب، ولدى المسلمين عامتهم وخاصتهم، وذلك من قِبَلِ مراكز دراسات وأبحاث مستقلة معنية بالجانب الفكري والرؤى السياسية عن الواقع؛ ليكون المزيد من التشخيص الدقيق، وبالتالي تكون سلامة العلاج لأدواء الغرب تجاه الإسلام، وليكون التعامل الصحيح والسليم مع النتائج من قِبَلِ المسلمين وبرامج إصلاح الذات، خاصةً العاملين لدينهم.

الحادي عشر: إذا كان من النتائج التي قرَّرها هوفمان أن الإسلام بديل حضاري، وهو كذلك، فإن هذا يعني للمسلمين ضرورة **(العمل الاستراتيجي)** من قبل علماء الإسلام وفقهائه ومفكريه في الشريعة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والإدارة والسياسة؛ لتقديم البديل -بأفكار وأيديولوجيات عقدية قابلة للتطبيق- من خلال المبادرات العملية في إعداد البحوث والدراسات المعنية، وذلك بوضع النظم الكبيرة الدستورية والشورية وصياغة التنظيمات الجزئية والكلية التي تُنقذ العالم من مظالم العصر وأزماته، وهو ما يفرض المبادرات المتعددة والمتنوعة على مستوى الهيئات والمنظمات المستقلة والجمعيات المعنية ومراكز الدراسات لتحقيق هذا الهدف. علماً أن هذا العمل الاستراتيجي ليس بالضرورة أن يرتبط في بدايته بنجاح

سياسي للمسلمين، أو ظهور كيان سياسي معين. فهو في البداية مشروع إنقاذ للعالم من أزماته الفكرية والأخلاقية والاقتصادية. وهذا المشروع المقترح أعم وأشمل مما تمت الإشارة إليه في هذه الخاتمة، للعمل عليه كمشروع من المشروعات العلمية المقترحة، كما ورد في ثامناً من هذه النتائج.

ثم إذا كانت هذه النتائج السابقة بهذا الوضوح من التشخيص لدى هوفمان فإن من لوازم هذا أن يكون العمل للنهوض الحضاري، الذي يقتضي بأن يكون وفق رؤى استراتيجية تقوم على المرحلية، وليس على ردود الفعل العاطفية، وذلك بأن تكون البداية أولاً في مقاومة سطوة الأفكار الزائفة عن حضارة الغرب لدى بعض المسلمين أو بعض مثقفيهم. ومن ذلك إسقاط مشروعات التنوير الغربي والحداثة وما بعد الحداثة، وكشف كذبة الملكية الفكرية للديمقراطية! وعمل المقارنات الحقوقية العلمية بين الغرب والإسلام عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل! وغير هذه من الأفكار التي يكتنفها الزيف عند مزايدة الغرب بها. وكل هذا مما يتطلب رفع سقف الوعي والمعرفة بما يزايد عليه الغرب، وبما يمتلكه الإسلام من قيَم ومبادئ وتشريعات حضارية، وذلك وفق الوسائل العلمية والمعرفية والإعلامية.

الثاني عشر: لم ينسَ هوفمان في خضم صراع الأفكار والسياسات على مستوى العالم أن يُوجِّه الرسائل تلو الرسائل إلى طبقات المفكرين والمثقفين من المسلمين المنخدعين بطروحات الغرب الفكرية عن الحداثة والتنوير والعصرانية، وذلك في بعض كتبه. وقد خصَّص كتاباً يكاد يكون كاملاً عن جذور انحراف الغرب وأتباعه، وقد وصفهم من خلال عنوان كتابه المُعبِّر **(خواء الذات والأدمغة المُستعْمَرة)**، وأوضح فيه للهاربين عموماً من دينهم، وخاصةً من مهزومي الفكر والثقافة أمام وهم حداثة الغرب، وفكره التائه بأن عليهم أن يقرأوا ويتأملوا! ليعتزوا بما لديهم من مخزون علمي ومعرفي لا يكاد يوجد في ديانة أو ثقافة أخرى! وفي عنوان (ما قبل الخاتمة) تم إيراد بعض النصوص المقتبسة عن هذا الموضوع، وهو في موضوع خواء الذات لا يُطلق حديثه جُزافاً أو بعاطفة جيَّاشة، بل إنه يُوضِّح الصورة عن التحولات الفكرية التاريخية التي مرَّت بالعالم المعاصر، ويُشخِّصُها حسب التدوين التاريخي عن الصعود والهبوط للأفكار والأيديولوجيات التي اجتاحت العالم في القرنين الماضيين، كطرح أساسي في تشخيص الأزمة الحضارية لعالم اليوم، وما آلت إليه وانتهت عليه حضارة الغرب تحديداً كحقائق تاريخية ونتائج واقعية. فهو يرى أن القرن (التاسع عشر) شهد صعود (عالميةِ ثلاثةِ مشروعات) ذات أثر تاريخي وهي: (ازدهار

مشـــروع الحداثة والمادية والليبرالية المصاحبة، وكذلك صعود الشيوعية والاشتراكية، وثالثها ســـيطرة الاستعمار على معظم دول العالـــم الثالث بالقـــوى الأوروبية والأمريكيـــة فيما بعد)، لكنه في المقابل يرى أن (القرن العشـــرين) شهد سقوط وانهيار هذه المشـــروعات الثلاثة، حيث يرى (إخفـــاق الحداثة الغربية في تحقيق آمالها أو وعودها الإنســـانية التي انتهت بالشكوك، وســـقوط الشيوعية بشـــكل مُخزٍ كذلك في المجالات السياسية والاقتصادية، بانتهاء الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية. وثالثها تراجع الاحتلال على الأقل بصورته الرسمية -حسب تعبيره-). ويُسجِّل هوفمان استغرابه من هذا الخواء الثقافي والفكري لدى هؤلاء المثقفين المنهزمين من المســـلمين حول افتتانهم بالحداثة الغربية أو الاشـــتراكية! لكنه يُبرِّر هـــذا بوقوع كثير من العقول والأدمغة في أســـر الافتتان بتعاليم أسيادهم السابقين -حسب قوله- وحســـب ما ورد أكثر في النصوص المقتَبَسَةِ من مقدمة كتابـــه خواء الـــذات، ومن الكتاب ذاته كما ســـبق إيضاحه في موضوع (ما قبل الخاتمة).

وتأتي أهمية الوعي بهذا من خلال آثار مخاطر الاستعمار الفكري والعقلي الذي سمَّاهُ ابن خلدون (إعجاب المغلوب بالغالب)، وقرره ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم). وهذا من أقسى أنواع الاستعمار وأقواها في الأثر والتأثير بأفكار المُستعمِر

على العقول والأفكار، بل إنه أخطر من الاستعمار السياسي والعسكري، حيث تغيير نمط التفكير للمُستَعمَرة عقولهم بزراعة التبعية الثقافية والسياسية. وهو بُعدٌ استعماري استراتيجي يُلحق بالشعوب الهزيمة النفسية والفكرية، ويسلبها هويتها الحضارية بإضعاف ذاتها، ويجعلها مفتونة بالسيد المستعمِر! وهذا ما يولِّد في المجتمعات الإسلامية بصورةٍ خاصة الصراعات الفكرية، وبالتالي التجاذبات السياسية العنيفة لصالح المُستعمِر وخادميه، وهذا النوع من الاحتلال يُعدُّ من وسائل (القوة الناعمة) في السياسات الدولية. وهذا ما يظهر جلياً في تجربة ديمقراطيات العالم العربي والإسلامي، حيث صراع الأحزاب فكرياً وسياسياً لدرجة التناحر والحروب الداخلية لانعدام التوافق على المصالح العامة للدول والأوطان!

الثالث عشر: في ظل هذه النتائج السابقة ذات الأهمية في موضوع هذا الكتاب فإن **(المبادرات الفكرية والعلمية المقترحة)** تتأكد أكثر. وربما تبرز قيمتها من خلال طرح أبرز مشروعات البحث والدراسة المقترحة في رؤى وأفكار هوفمان الكثيرة. ولعل هذه أبرزها:

- المشروع الأول:

من شروط الكتابة عن أي مشروع علمي أنه يتطلب توفير المواد العلمية المعنية من المصادر والمراجع الكافية. وهذا التوفير

المعلوماتـــي هو ما يمكن أن يكون المشـــروع الرئيس الذي ينبثق منه أي مشـــروع أو مشروعات أخرى من دراسات وبحوث تخدم مفكرنـــا هوفمان. ولهذا فمن المنتظـــر والمأمول من الجمعيات الإســـلامية المعنيـــة والمراكـــز الحضارية والكراســـي العلمية في الغرب ومؤسســـات الفكر والثقافة الإســـلامية في أوروبا -بالدرجة الأولى- وفاءً لمفكرهـــا هوفمان وخدمة لاحتياجاتها الفكرية والثقافية المعاصرة بأن تعمل له مشـــروعاً علمياً يجمع تراثه كـ(**أعمال كاملة**) أو (**مجموعة شاملة**)، أو ما يُسمى الببليوغرافيا لإنتاجـــه العلمي فهـــو كنز علمي ومعرفي، وذلـــك بحصر كتبه ومحاضراته ومقابلاته ومقالاته. إضافةً إلى أهمية إنشاء موقع إلكتروني معني بجمع ما يمكن جمعه من إرث هذا المفكر الكبير، ويكون بعدة لغات خدمة للباحثين والدارســـين، وخدمة للتاريخ، وخدمة لمراكز البحـــث العلمي ومراكز التفكير الاســـتراتيجي المعنية بالعلاقات الإسلامية الغربية.

- المشروع الثاني:

يحســـن بالجامعات ومراكز الأبحاث والدراســـات المعنية بالقضايا الإســـلامية والباحثين في القضايا المعاصرة والأفكار والعقائد والأديان والعلوم السياســـية خاصةً في دول وجامعات العالم الإسلامي، إضافةً إلى الجهات المعنية بالغرب في أوروبا

وأمريكا، أن (**تُوجِّه بعض الأبحاث والباحثين**) والدراسات والرسائل العلمية إلى أن يكون هذا المفكر وأفكاره المتعددة ميداناً علمياً للدراسات والإصدارات العلمية، حيث إن هذا المفكر استوعب الكثير عن الحضارتين، بما تميَّز به عن غيره في فكره ومجالات عمله السياسية، بل وعاش الثقافتين الغربية والإسلامية، وكتَبَ عنهما معظم كتبه وأكثرها بعدة لغات، وترك إرثاً علمياً يستحق الصدارة -إلى حدٍّ كبير- في الميدان الفكري والثقافي عن الإسلام، حيث ألقى حوالي ٣٥٠ محاضرة حول الإسلام في ٣١ دولة حول العالم.[١] ولخدمة هذا المشروع المقترح فقد تم حصر أبرز من كَتَبَ عنه كمقالات ومقابلات باللغة العربية، وتَمَّ وضعها في إحدى ملاحق هذا الكتاب بجدول بعناوينها وروابطها الإلكترونية؛ خدمةً للباحثين والدارسين. وهذا ليس استقصاءً كاملاً، لكنه لأبرزها، مما يُسهِّل ويرغب في الكتابة عنه، وعن فكره ورؤاه بمشروعات متعددة ومتنوعة.

- المشروع الثالث:

العمل على (**حصر الأفكار والموضوعات**) والرؤى المتعددة والمتنوعة، خاصةً تلك التي يحتاجها مسلمو الغرب، أو ما يُسمى بمسلمي

(١) انظر عن الإحصاء: مجلة البيان، مقال بعنوان: (وداعًا «د. مراد هوفمان».. أحد سفراء الإسلام في أوروبا الحديثة)، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٢٠م، الرابط التالي: http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=8971

المهجر والأقليات المسلمة في هذا العصر، وذلك مما لدى هذا المفكر من آراء فكرية، ثم وضع الدراسات التحليلية عن كُتبه وأبحاثه ودراساته وموضوعاتها، خاصةً عن الحضارة الغربية بما هو أوسع مما ورد في هذا الكتاب من نصوص مقتبسة. ويمكن أن تكون ترجمته لمعاني القرآن الكريم من خلال مراجعته لترجمة سابقة، إضافةً إلى كتبه عن القرآن. وهما كتابان معنيان بالقرآن موضوع دراسة وبحوث ودراسات عنه حول القرآن.[1]

إضافةً إلى أهمية الاستفادة من طروحات هوفمان العلمية حول كثير من القضايا الإسلامية لتكون موادَّ علميةً ضمن مناهج الكليات والأكاديميات المعنية بالدراسات الإسلامية في الغرب، مع العمل على المبادرات الجادة من هذه الجهات على تخصيص كرسي علمي باسمه الشخصي، وكذلك بأن تكون بعض كتب هوفمان أو بعض موضوعاتها ضمن المقررات الدراسية لبعض الكراسي العلمية (الفكرية والعلاقات السياسية) في الجامعات الغربية، حيث إن الخطاب في كُتبه -كغربي- يتناسق مع طريقة التفكير لدى العقلية الغربية، لا سيما أن معظم طروحاته الفكرية لا تتعارض مع مُحكَّمات الشريعة الإسلامية.

والله ولي التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر عن كتبه في الملاحق من هذا الكتاب (الملحق الثالث).